سرب الأحلام

(رواية)

رداد السـلامي

إصدارات دار إي-كتب

لندن، آذار – مارس ٢٠١٩

Dream Squadron

BY: Raddad Al-Salami

Published by e-Kutub Ltd

Distribution: TheBookExhibition.com

ISBN: 9781780584515

First Edition

London, Mar. 2019

** * **

الطبعة الأولى،

لندن، آذار – مارس ٢٠١٩

سرب الأحلام

المؤلف: **رداد السلامي**

الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: ٧٥١٣٠٢٤

التوزيع: TheBookExhibition.com

يمكنك الكتابة إلى المؤلف على العنوان التالي:

abuyaman2014@yahoo.com

للاتصال بالكاتب ومناقشة أفكاره:

https://www.facebook.com/rddad.alslamy

كان صباحاً جميلاً من أيام (إسطنبول) الأنيقة، الشمس ترسل خيوطها الذهبية فتنعكس على مآذنها المنتصبة بشموخ؛ لتمنحها مهابة وقورة كأنها أصابع الأرض الممتدة نحو السماء تشهد بوحدانية الله، وتسبح بحمده، وتلهج بالدعاء له، الرياح تغزل نسماتها العذبة الندية، ثم تدفع بها إلى الرئات بلطف، الناس يملؤون الشوارع والحافلات والمنتزهات.

قبل أن تطلع الشمس ويؤذن الفجر يكون الإنسان التركي قد انسل من فراشه وبدأ يتجه صوب عمله وما يجيده بإيقاع منتظم كل يوم.

النوارس البيضاء تنوس في السماء كسرب حلم جميل ذاهب صوب المستقبل، كان شرف قد أكمل نصفَ كوب شاي تركي معد بعناية وهو يستمتع بهذا الجمال الإلهي البديع.

هذه المدينة التي تربط الشرق بالغرب من أعرق مدن التاريخ الإسلامي والعالمي، كما أنها فسيفساء التنوع الإنساني والديني، لكن طابعها العام وجوهرها إسلامي، وروحها تشبه مآذنها، وبلال لا يفتأ يصدح بصوته منها في تنوع صوتي بديع كل يوم خمس مرات، وهي أيضا مركزية ثقافية ممتازة.

هذه الجميلة المستلقية على ضفاف نهر البوسفور ذات المزاج المتقلب الجميل، شكل الاستيلاء عليها مركزية القوة التي مضت بأمة

الترك المسلمة في كل الاتجاهات وهي تقود عالماً إسلامياً ممتداً كان يواجه ضعفا وتراجعا وانحسارا في دوره القيادي الرسالي والحضاري. يمثل عصر الدولة العثمانية عصرا ذهبيا ثانيا للإسلام بعد اختفاء نوره فترة من الزمن، "كان العثمانيون إذا فتحوا بلدا احتضنهم سكانه ولم يهاجر منه أحد، وإذا انسحبوا منه فر الأهالي وراءهم" كما يقول المؤرخ- عبد القادر ده ده أوغلو: لقد واجه الأتراك العثمانيون حملات الانتقام الصليبي على العالم الإسلامي بجسارة، وحولوا المعركة إلى "بلجراد" قلب أوروبا، واستطاعوا -قبل ذلك- مد رقعة الإسلام، وظلوا حماة العالم الإسلامي لقرون طويلة حتى جرت عليهم سنن الله في الحياة، كما في مفهوم دورة الحضارة لابن خلدون.

لقد فتح الانقلاب على آخر سلاطينها حُكَّاما وحكمة ودهاء وجسارة "السلطان عبدالحميد الثاني" –رحمه الله- الطريق للغرب نحو السيطرة على العالم الإسلامي وتقسيمه ونهب ثرواته وتزييف وعيه وتاريخه وتوطين الكيان اليهودي الغاصب في أرض فلسطين واحتلال القدس الشريف ثالث الحرمين الشريفين "ربما لم يسمح السلطان عبد الحميد في إدارته الحازمة للأدوات السياسية: كالدستور والبرلمان والنواب، أن تمارس دورها في ظل الشروط الصعبة في عصره، غير أنه استطاع أن يؤَّمن للأتراك بذلك اجتياز فترة الثلاثة والثلاثين عاما من حكمه بأقل الخسائر، وبقيت الدولة بحسناتها وسيئاتها كعروس بالمحافظة على وحدة أراضيها حتى حرب البلقان، بل حتى الحرب

العالمية الأولى! والأهم من ذلك أن الأسس التي قامت عليها تركيا اليوم كانت قد وضعت في عهد عبد الحميد، ولو أنه تصرف خلال حكمه بلا حكمة كالاتحاديين فإن سفينة الدولة ما كانت لتبلغ شواطئ القرن العشرين وربما كانت ستعيش مخاطر تقسيم أشد وأعمق منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر-نحو ١٨٨٠م- وعندها ما كان ليكن لهذا الكيان السياسي الذي يدعى الجمهورية التركية وجود" كما يقول الكاتب المؤرخ التركي مصطفى أرمغان في كتابه" السلطان عبدالحميد الثاني والرقص مع الذئاب".

كما مثل العثمانيون الإضافة النوعية التي شكلت المفهوم الحديث لمعنى فن السياسة والقوة والقيادة في الإسلام.

منذ أول يوم وصل إليها قبل نحو سبعة أشهر تقريباً كان شرف قد استنشق لأول مرة في حياته هواء هذه المدينة البارد النقي الذي زفرته رياح قادمة من كل الاتجاهات.

حتى الرياح فيها رغم تنوع اتجاهاتها تعايشت وفق فكرة تحسين جمال الطقس في هذه المدينة التاريخية العريقة التي تمتلك أجواء سحرية امتزج فيها الماضي بالحاضر بتجاور وتداخل خلاق، إنها كتاب التاريخ الذي يكتنز مجمل وجمال ذاكرتنا جميعا كمسلمين، إنها القلعة الإسلامية الراسخة التي تمتد مآذن مساجدها في خاصرة أوروبا كحراب محاربين أفذاذ شرفاء أوفياء ماتوا واقفين في حرب شرسة لم يصدأ نصل سن حرابهم ولم يلن.

كان شرف قد حزم أمتعته استعدادا للعودة إلى أرض الوطن، لم يستطع البقاء فيها رغم جودة طبيعة مكان هذه المدينة الساحرة، لكن البقاء فيها يستلزم وجود دخل جيد؛ حتى يتمكن من العيش فيها بشكل حياتي ومعيشي أفضل وآمن -قال شرف وهو يحدث نفسه بصمت -فيما يجلس إلى جوار صديقه كريم في مقعد سيارة تاكسي استأجراها بخمسين ليرة تركية إلى مطار اسطنبول للحاق بالطائرة المغادرة إلى إحدى الدول الخليجية.

كان كريم قد قدم إلى اسطنبول منذ أشهر في رحلة سياحية، وقد أتمّ مدة إقامته السياحية وقرر أن يسافر مع شرف؛ كونه يعتبره من أهم الذين شكلوا رؤيته الفكرية، وأسهم كما قال له مرة بفاعلية في إنضاج وعيه بالواقع والصراع، كما عزز تنمية خبرته بالحياة "الخبرات التي يصيغها أصحابها على شكل كلمات تسهم في تحسين مستوى رؤيتنا للحياة."

قال شرف في نفسه: ما كنت أود الرحيل منها لكن الذين كنت قد عقدت الأمل على كونهم سيقدرون رغبتي في البقاء فيها خيبوا أملي فيهم؛ لقد تجاهلوني تماما، ومن كان منهم وفيا لمعنى الأخوة كل ما استطاع فعله هو الالتزام بالنزر اليسير الذي لا يسد أبسط متطلب أساسي للعيش والبقاء، لا أملك مزايا اجتماعية ووجاهاتية مهمة تؤهلني لاهتمامهم بي، وإن كان الانتماء الفكري هو أساس أخوتنا؛ لكنه واهٍ ولا

يشكل دوافع الارتباط الأقوى في حسهم الجمعي المسكون بتقاليد الوعي الاجتماعي الموروث.

تركيا بلد جميل لكنه يمنح استقراره وتقديره لمن يدفع أكثر هذه حقيقة مؤلمة..!

ثم لكي يبدد لحظات الصمت قال شرف لكريم: هذه المدينة تمتلك خصوصية تنشيط الأحلام وتفتيقها كبراعم أزهار جميلة متفتقة تنشد الحياة، نوارسها التي تنوس في السماء بلونها الأبيض تضاعف جمالها، النوارس تتواجد حيث توجد الحرية والأمن؛ إنها رسائل السلام المحلقة في السماء الزرقاء بأناقة وسمو.

الأحلام تشبه النوارس في بياضها، إنها تهاجر في السماء نحو الأفق الممتد، وكأنها تقول لك: إذا وجدت هدفاً في حياتك فواصل السير حتى وإن كان الطريق مبهما، شق مجرى الحركة للعابرين غدا، ولا تستسلم فسيتضح المسار حتما، فإن لم تصل أنت ثمة من سيواصل من حيث وقفت، وقد تموت لكن الحلم سيستمر وسيتحقق كالقيامة.

غير أن أسئلة كريم المقتضبة تحفز لدى شرف الاسترسال في الإجابة بشكل سردي سلس ينطوي على حكمة ومعنى باذخ التحسيس والرؤية، قال كريم: قص أحلامك يا صديقي، أسمعني ما تفكر به، دعني أراك.

رد شرف: الذين يقصون أحلامهم يقعون في فخ المكيدة غالبا، غير أن المكيدة ليست نهاية الأمر، ثمة خيرٍ فيما نحسبه شرا، فكرة الابتلاء والاختبار هي الصيغة الحتمية القائمة في وجودنا، وهي قصة الإنسان في كفاحه من أجل أن يكون أهلاً لتحمل مسؤولية استخلافه، وقصة قدرته على إظهار حقيقة علم الله فيه حين قال لملائكته الذين تساءلوا عن كيف يجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء وهم يسبحون بحمده ويقدسون له فقال لهم: "إني أعلم ما لا تعلمون " نحن لابد أن نمر بفصول من المعاناة والمكابدة كي نصل إلى تحقيق نضجنا وما يصقل مواهبنا وقدراتنا ويمنحنا المعرفة، الخبرات تزداد كلما اختبرتنا الحياة في دروبها، كما أنها اعتياد دائم يبقي الإنسان قيد البحث عن معنىً حق يمضي خلف أحلامه باحثا عنه يريد أن يتجاوز معضلة كونه محدود وضعيف وعاجز يخترع التقنيات التي يعتقد أنها يمكنها أن تمنحه القدرة على تجاوز قدره، يخترع الدواء ليبقى حياً أطول عمر ممكن، يحاول أن يصنع أشياء يمكنها أن تنقذه من حتمية الضعف والموت، لكنه سيموت رغم أنفه، هذا قدره! فكما أنه لم يختر وجوده على هذا النحو هو مجبر على الموت وسيموت حتما، غير أن كثير غرقوا في عالم وهمي من التصورات الفاسدة؛ حيث أضحى الحصول على منصب وظيفي والاستغراق في اللهو؛ والعبث أضحى أمراً أكثر حقيقة من الموت، فغالبا ما ينبع نشاط الإنسان الروحي والجدي من الوعي بالموت والمصير، إن طريق وعي الحقيقة يتطلب فهما للذات، وكل إنسان له

موهبته الخاصة في اكتشاف ذاته، فإذا استطاع الوصول إلى حقيقة هذه المعرفة فإنه يتمكن من وعي كيف يمكن تقوية ضعفه، وتجاوز الإحساس بالمحدودية وعدم التكيف مع الأوهام التي تصنعها في وعيه مخترعاته وتقنياته وما تقذفه مطابع الفكر من فلسفات ضالة تنطوي على انحراف يزيد الإنسان تيها؛ لأنها تصنع له عالماً من الزيف الخيالي؛ وسجنا افتراضا ممتدا يخلو من الحقيقة.

استرسل شرف: يدرك الإنسان في النهاية أن معرفة المرء لذاته لا تكمن في تحقيق أي شيء، أو أن يصبح مثاليا، لا يمكنه الكمال هنا مطلقا، سيظل دائما في قلب نقصه الفطري، وسيظل في حالة تطلع دائم لأن يكون كاملا ومنعما بشكل لا يكدره شيء، وهو دوما بحاجة إلى حقيقة تهديه، إلى كلمة ترفع لديه الشعور بأهميته وخصوصية وجوده وتميزه.. يحتاج فقط لما يجعله يطمئن أن الموت ليس النهاية والعدم، وأن له مصيرا مختلفا بعد رحيله من الدنيا. استطرد شرف وهو يحدث صديقه: المرء حين يكذب يخدع نفسه وليس غيره، كنت نكرة ولم أكن أملك شيئا منذ البداية، ولولا أمي والقراءة بعد الله لعشت نكرة، ولولا ديني لترعرع في نفسي حب كراهية العالم، لقد عشت قادرا باستمرار على فهم الحياة واكتشاف حقائقها، ولقد كانت لديَّ القدرة على تقبل الواقع كما هو، لكن ليس للتكيف معه؛ بل لفهمه ومحاولة تغييره وفقا لما أؤمن به، وما ينبغي أن يكون عليه مستقبل الناس جميعا.

كنت دائمًا في طفولتي أمتاز بالمرض والكسل، وأعشق اللعب وأكون أكثر حيوية فيه، ولكني أكره الأعمال الجادة، وظيفتي كانت راعي حمارة جدي، هذه المهمة أوكلها لي، وكانت تثير خجلي وحساسيتي خصوصا أنني كنت في طفولتي أعشق ابنة قريبة لي كانت زميلة دراستي الابتدائية حتى أواخر الإعدادية، كان والدها ثريا، وحين كانت تمر وأنا أرعاها أشعر باحتقار لذاتي، لم تكن تعلم أنني مرغم على فعل ذلك، تزوجت بابن مغترب في أميركا؛ كي تطعم مذاق "الدولار" كما قالت والدتها لي يوما.

كان خيالي خصبا ولدي قدرة على مشاهدته بوضوح، كنت أتخيل أن ثمة من اختطفها فأتولى عملية إنقاذها فيما هي تتغير قناعاتها: أن رعاة الحمير يمكن أن يكونوا أبطالا أيضا، كنت أتقن فن التخطيط الخيالي وحروب أحلام اليقظة وصراع المستقبل، وما أسوأ أن تكون فقيرا وراعي حمارة في آن.

لم يمكن ثمة ما يجعلني مؤهلاً لحياة إنسانية كريمة، الفقر واليتم والجوع المزمن والدمامة الخَلقية، ومهنة رعي حمارة مبتورة الأذن، كان الوعي بالذات يستيقظ رغم صغر سني، أيعقل أن أكون شيئا غير مذكور في الحياة، يوما ما سأكون طيارا أو مهندسا أو كاتبا أو شيئا يستحق الذكر هكذا قالت لي أمي يوما، وهكذا كنت أحدث نفسي، أنا المنسي في زحام الحياة الفقيرة حد الوجع مِمزق الثياب ورث المنظر حافي القدمين، كانت -فقط -أمي هي من تجيد تحسين مظهري وتتغنى

بملامحي السنجابية البريئة، كنت أعشق مشاهدة مسلسل "بيل وسبستيان" الكارتوني، وكنت أتفاعل مع المشهد وأود أن لو أني الفتى الباحث عن أمه برفقة كلبه الأبيض الذكي الوفي، على الأقل ثمة معنى للحياة في البحث عن أم مفقودة!

حين كنت طفلا كنت شيئا قبيحا يؤذي عيني من ينظر إليه ويجرح وجدانه.

وكانت أمي كل يوم تقود بأظافرها معركة ضارية وأنا أتكوم في حضنها مع القمل في رأسي وتمارس عملية تنظيف معتادة، كانت تفجر بيوضها وأسمع قعقعة صوت القتل في رأسي، كانت ثمة انفجارات متنوعة، أكثر رعبا كانت تحدثه عملية سحق قملة سمينة امتصت دمي وأقلها بيضة صفراء صغيرة جدا لقملة ولدتها للتو قبل أن تفقس وتستعد لدورة حياة جديدة في رأسي، فأقول لأمي التي تقبض بيديها على رأسي بقوة حتى لا أتحرك: ما هذا يا أمي.؟!

تقول: "كُنم" يا ابني الله أعلم من أعداك بها! و"الكُنم" اسم القمل في لهجة قريتنا.

كانت أمي محقة! فرأسي الصغير ليس بيئة مناسبة لإنتاج هذه الآفات الصغيرة، كانت أمي ذكية جدا تضع أصابعها وتتحسس رأسي برفق، وتكتشف أماكن تواجدها لكأن أصابعها مجسات اكتشاف متقدم.

كان لأمي رائحة تشبه رائحة عطر صنع من روح الملائكة.

قالت لي مرة أنه بالحب والرحمة ينتصر الإنسان أيضاً، لقد أرسى الحب دعائم أقوى دول العالم لقرون طويلة.

كما قالت لي يوما أن الرجولة هي في قدرة المرء على الاحتفاظ بضميره حيّا، وأن يعيش حياته مستقيما.

وحين سألتها ذات صباح والشمس بازغة الشروق كعنكبوت ذهبي يغزل خيوطه فوق كل شيء: لماذا تشرق الشمس كل يوم يا أمي؟!

ابتسمت بحنان وقالت: كي تراك!

كنت أخاف الله كثيرا.. ويؤرقني الموت وحديث جدي عن النار، وبقدر ما كنت أتمنى الجنة لم أكن قد بلغت سنا يؤهلني بعد لاستحقاق دخول النار، كنت بريئا، غرائزي لم تتفتق بعد، ونظرتي للحياة بسيطة وبريئة؛ حي الوجدان والضمير كبرعم يتفتق في جوف زهرة يشتهي الحياة، أبي كان غائبا فقد رحل قسرا بدايات ثمانيات القرن الماضي جنوب الوطن برفقة أشخاص كانوا يبشرون بجنة على الأرض صممها "ماركس" في مخيلتهم، كانت أمي هي الحضور الطاغي المؤثر في شخصيتي، هي التي أتقنت فن زراعة الضوء في حدقات عيني وقلبي وألهمت روحي ووجداني واشترت لي قلما وكتابا من قيمة أحمال حطب كانت تبيعه، وبدأ الكسول يتعلم الأبجدية، ومع كل نطق لحرف وكلمة

بدأت تتشكل شخصيته خارج مساحة الجهل من حوله في قرية يقال لها "...."يقول سكانها عن من يمسك كتابا ويقرأ أنه مجنون!

كنت فتى سريع الحفظ قادرًا على الفهم والتنقيب في صميم الكلمات عن معنى ومغزى، وقادرا على الحوار والتحدث بنضج يسبق سنه، كانت عودة أبي هي الكارثة التي حدثت رغم أني لم أكن أعرفه جيدا، لقد شكل حضوره صراع بين فكر أؤمن به وفكر يُؤْمِن به، يؤسفني هذا الاعتراف لكن الحقائق تقف ضد العواطف وتتغلب عليها، بعد خمس سنوات تقريبا من مجيء أبي وسوء معاملته لنا جميعا، وعقدة فقره وفكره الفلسفي المنحرف كنت أدرك أن الخلل يكمن في شيء أساسي اسمه "الفكر" بغض النظر عن قساوة الحياة وبؤس الحال والواقع، منها بدأت أقرأ في طبيعة الفكر الذي حول أبي إلى شخص قاس يقدس "المادة" ويختزل الصراع والحياة في شكل سطحي فج اسمه "الصراع الطبقي" وأبحث عن فكر مضاد يناهض هذا الموت الإنساني الذي يحيل صاحبه إلى كائن متوحش وكانت الإجابة أن "الاسلام هو الحل" لقد أسهم فكر "سيد قطب" في تطوير نظرتي للإسلام وعظمة مبادئه وقدرته على المناجزة وتحقيق واقع إنساني أفضل، ومن هنا بدأت رحلة البحث عن من يحمل هذا الفكر الذي شكل مجمل قناعاتي، وهنا بالذات أشرق عقلي وضميري ووجداني...

ولا زلت مستمرا في تشكيل حياتي بشكل متقدم إلى الأمام.

وحين كنت طفلاً أيضا كنت أفهم أشياءً كثيرة، وكنت مثقف بشكلٍ عالٍ قياسا بمستوى وعي أطفال قريتنا وقياسا بمستوى الوعي الوطني العام ربما.

كنت أقول لنفسي لا يمكن لشخص صغير مثلي أن يناقش أشياء تفوق سنه، لكني كنت أجد ذاتي مرغماً على القراءة، كانت القراءة هواية ممتازة تجذبني بشدة، وكانت ترغمني على النقاش، وكنت أجد ذاتي قادرا على اقتحام عرين المظاهر الخاوية لأجد ذاتي ألعب دور الفهد السريع أو النسر المرتفع في أعالي القمم أو النورس الأبيض المحلق في السماء، كنت أُوصف بالجنون وأحياناً لا يستطيع البعض أن يخلع وصفا معينا عليَّ لقد كنت أعقد من أي توصيف سيء؛ لأني كنت أمتلك ذلك التعقيد المعرفي البالغ الذي لا يستطيع أحدا قول ما هو سيء ضده، كان على بعضهم أن يحتقن بغيضه ليكون "المجنون" هو أنسب وصف لأعقل رجل عرفوه!

كان شرف قد ذهب بعيدا عن ما يود قوله قال: الأمور غالبا لا تمضي على النحو الذي نريده والتفكير لا يتدفق في مجرى الوعي وفقا لمتطلباتنا الذاتية هناك أمور نود قولها وكتاباتها وأثناء الكتابة نتوه ولكنه التيه الأجمل الذي يفتح أمامنا دروبا جديدة في الكتابة، لطالما كانت الكتابة وسيلة أرفع في صياغة وعي الإنسان وذاته وواقعه، ومن حوله الأمم الحية تقدر كتابها ومفكريها ومبدعيها لأنهم ركيزتها الأساسية في بناء ذاتها وتقوية وجودها واستمراريتها ومنحها القدرة على وعي ذاتها

وماهيتها وكيف يمكنها أن تنهض وأن تحسن من مستوى عيشها وحياتها وعلاقاتها، لدينا كتاب كريم بالتأكيد، وهذا الكتاب "القرآن الكريم" سيظل خزان استمدادنا ككتاب وكأمة لأنه باستمرار يقدم لنا الزاد ويوجه العقل توجيها سليما وسديدا ويصنع الإدراك المعرفي اللازم لتجاوز ضعفنا والتحديات التي تنتصب أمامنا، لكن الزاد كي يصبح مفهوما بحاجة إلى عقلية نظيفة قادرة على فهمه وتأويله طبقا لما أراد الله وفي اجتهاد مستمر في محاولة مهمومة وجادة لأن تكون الكلمة والرؤية وفقا لذلك، وفي السُنة تفصيل لأمور كثيرة وتأكيد على الثوابت فيه والقطعيات، وسيظل هذا الكتاب يعطي ويمنح ويجدد الوعي والفهم ويحشد ويوحد الجهود ويصنع الإنسان السوي الحضاري العادل ذي الإرادة المحقق لمفهوم " إني جاعل في الأرض خليفة" إنما دوما سيظل الأمر رهين بقدرتنا على المجاهدة من أجل قراءته قراءة صحيحة وليس مجرد قراءة لسانية وصوتية بل قراءة تفكرية وعقلية ووجدانية ومعرفية واستكشافية،قراءة التزام وعمل وتطبيق ومحاولة لبلوغ أرقى مستويات فهمه واتباعه، إنها مسألة حياة كاملة بالقرآن إنها امتثال تام وصياغة الذات وفقا لمتطلباته وتوجيهاته.

يرد كريم: لكن الغرب سبقنا بمسافات، نحن متوقفون عند أزمنة قديمة، حياتنا ليست سوى جملة من التكرار الممل فقدنا القدرة على الإبداع، نحن لا ننتج لا نصنع، لا نضيف إلى الحياة شيئا، كائنات استهلاكية لا تستطيع حتى حماية نفسها! نتفوق فقط في أمور تافهة

وغير ذات أهمية ولا تضيف إلى وعينا وحياتنا شيئا، إننا نتفوق في إنتاج التفاهة فحسب!

يرد شرف: جميل أن يعترف الإنسان بواقعه وأن يدرك الحقيقة، لكن هذه المعرفة إذا لم تقده إلى التغيير تنشئ لديه العجز واليأس، وتنمي لديه مشاعر الدونية والإحباط، كما أنها تحقق هدف أعداء أمتنا في جعلنا ننجر إلى تفسير تخلفنا من وجهة نظره وما يريده هو، فهو يقول لك أن سبب تخلفك هو دينك وإسلامك وكتابك يقدم لك هذا التفسير انطلاقا من إدراكه الماكر بحقيقة الإسلام كدين حضاري الإيمان به والتزامه حقا يجعل أمتنا قادرة على العودة إلى مسرح التاريخ مرة أخرى بقوة، يقول أحد نقاد كتاب "مسمار في جدار الذاكرة " لكاتب يمني: يريد الكاتب أن يقول في كتابه أن التعامل مع الواقع أمر صعب، وحقائق تخلفنا ماثلة وصادمة ولكن هذا الواقع يحتاج إلى الوعي والشجاعة واكتشاف أسباب تخلفنا سيقودنا إلى الخطوة الأولى نحو التقدم، وإذا كان الإسلام يُرمى بالتهمة القائلة أنه سبب تخلفنا فهذا لأن "الإسلام" ليس كما يقولون ولكن أحد أبرز أسباب تخلفنا يعود أساسا إلى سوء فهمنا للإسلام ذاته "فالإنسان لا يستطيع أن يكون مسلما ويبقى متخلفا –كما يقول الرئيس والمفكر الفيلسوف المسلم علي عزت بيجوفيتش رحمه الله- وهي من أصدق المقولات الحية.

المحبطون والذين يشعرون بعقدة النقص أكثر الناس قدرة على تلقي تفسيرات من يفوقهم دون وعي بالحقيقة إنهم يستسلمون بسهولة

ويرددون مقولات أعدائهم كثوابت وهناك من يتبنى مقولاتهم ويعمل باتجاه تعزيز عزل المسلم عن حقيقة دينه في الوقت الذي يدعي بأنه مسلم ويقدم تأويلات مضللة بهدف إفراغ المسلم من محتوى دينه وقيمه ومبادئه، وإبقاء لمظاهر شكلية لا تصنع إنسانا حضاريا قويا حقا، إن النهضة إرادة جمعية يؤسسها عمل منظم ومخطط "إن تجارب الفرد، ورؤيته للعالم، والأحداث التي تشكل أسلوب حياته، وعائلته، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ووضعه الاقتصادي كلها تلعب دورا حاسما في تشكيل وعيه التاريخي، فالفرد يشكل وعيه وفق هذه العوامل ولكن الوضع ليس بهذا الوضوح في الوعي التاريخي للمجتمعات لأن المجتمع قبل كل شيء هو ثمرة زمن طويل، ويصل إلى فكرة اجتماعية ووعي اجتماعي من خلال هذا الزمن الطويل، وهذا ما يطلق عليه تسمية "الوعي المشترك" لذا يمكننا القول أن الوعي المشترك هو: مجموع القيم التي يلتف حولها المجتمع ومن المؤكد أن ما نسميه مجتمعا لا يلتقي كله عند نقطة واحدة فهو يختزن اختلافات كبيرة " إن النضال من أجل ارتقاع وعي أمتنا الجمعي يتطلب دوما هذا الوعي والعمل المنظم والمستمر والمنسق والمتكامل، لا بد من قيادة موحدة قيادة فكرية وتخطيطية وتنفيذية ومعرفية تعمل بشكل دائم ومستمر وتراكم الجهود، إن الإدراك الجامد للتفاوت في الشعور سببه الاستسلام المغلوط لمقولات الحتميات القدرية وعدم السعي لتغيير الواقع ليكون أكثر اقترابا من العدالة المنشودة، والمشتغلون في حقل الثقافة والفكر لا يجرؤون

على قول الحقيقة غالبا، لأنهم محكومون بأعراف مجتمعهم وبما يراه الوعي الجمعي المختل، وبما تريده ثقافة تخلفنا المعتادة التي يمجد الكثير أصالتها الزائفة.

يقول كريم: إنها سردية رائعة هكذا تبدو عندما نعاود قراءتها، هذه السردية التي تغزل من وعي الإيمان بضرورة أن نتغير وأن ننجز حياة أفضل لنا جميعا، هي التي تعمل على إعادة بناء الوعي وتوجيه الشعور والحدس وتنمية الحس الأخلاقي المجتمعي السليم نحو ما هو مفيد ونافع وبناء، لقد عشنا طويلا يا صديقي طويلا تقتات عقولنا من مزابل "الفكر الاستشراقي" وما تلقيه ماكنة العقل الفكري الغربي المادي ونعيد هضم مقولاته دون وعي الأمر الذي تسبب في عسر دائم في وعينا وتعثر مستمر، إن الآخر يرفض فكرة أن تكتشف ذاتك من خلال تاريخك وموروثك المعرفي والفكري الخاص بك، لهذا دأب على تقديم رؤية وتفسير نرى أنفسنا من خلاله ونعيد تعريف ذواتنا انطلاقا منه، وهي صورة مضللة أنتجت ضلالا دائما وأبقتنا في دائرة التخلف والصراع واللافاعلية، لقد استطاع أن يبعدنا عنا، وأن يتغلب على أي محاولة جادة لأن نستعيد ذواتنا من الاستلاب والغياب.

لا يمكن للظروف الخارجية أن تحدد مصير الإنسان، الروح تغالب فيه ضعفه والطموح لديه يرسم أحلامه وتطلعاته، إن بقاء الانسان بلا أشواق كبيرة لن يجعل منه إنسانا حقيقيا، فكما أخرجه حب الخلود والملك من الجنة فسوف يعيده ذات الحلم والطموح إليها إن هو غالب

ضعفه وشهواته وتحقق بتوجيهات خالقه وأحسن السير في طريقه وكلما تعثر عاد إليه وجدد العزم على أن يكون كما أراد، فالدين لا يمكنه إلا أن يكون مركزية كلية تنبني عليها حياة الإنسان كلها، وهو بذلك يتضمن كل الموجهات القادرة على جعله أفضل وأهدى، إن كل تطلع إلى ما عند الله والتزاما بهداه يؤدي بالضرورة إلى عيش حياة أفضل، الإنسان كائن أخلاقي يستطيع أن يفكر بشكل سليم ويتوصل إلى القرار والموقف السليم انطلاقا من وعيه الإيماني والأخلاقي وهو بهذا يؤكد حريته حين يختار ما الذي ينبغي عليه أن يفعله ويتبعه وما الذي لا ينبغي أن يفعله أو يتبعه" إن المرء لا يستطيع التوصل إلى السلوك الأخلاقي عن طريق التبحر في دراسة المعايير الأخلاقية في العالم، بل عن طريق التركيز على العلاقات الفعلية بين ناس موجودين، أي بين ناس حقيقيين يقفون أمامنا وجها لوجه" كما يقول "جوبلز هنري" فالمرء الذي يتصرف وفق دستور أخلاقي رفيع يتوصل إلى الانسجام مع الكل الكوني الذي نعيش فيه.

بعد رحلة دامت يومين كان شرف وكريم قد اتفقا بعد وصولهما إلى بلدهما أن يلتقيا ويتحدثا أكثر، وهو ما حدث فبعد أيام زار كريم شرف واتفقا على أن يستمرا في الحوار، كان الأمر بسيطا فقد انتقلت صداقتهما من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي ومن صدف القدر الجميلة أنهما يقيما في مدينة واحدة.

هناك أشياء يتطلب فهمها نقاشا ونوعا من الجدل الذي ينشد الحقيقة، كل ما نؤمن به غالباً يحتاج إلى تجديد الوعي بحقيقته، المسلمات الموروثة ينبغي التفكير بها لكن الحقائق الثابتة تظل كما هي لا يمكن التسليم مطلقا بفكرة أن الإنسان وجد دون خالق مثلا، لا يمكن التماهي مع مقولة أن "الإله" يشبه خلقه أو أن ثمة شركاء له هذا الأمر ليس منطقيا ولا يتفق مع الحقيقة المطلقة بكون الخالق هو إله واحد "ليس كمثله شيء" "إذا لذهب كل إله بما خلق" إن التوازن الراسخ في طبيعة الكون والحياة يؤكد هذه الحقيقة المطلقة والثابتة "وحدانية الله عز وجل وعدم وجود شبيه له".

علينا أن نعتاد على البحث -يقول كريم- ثمة أشياء ينبغي إعادة اكتشافها الكلمات تحتاج إلى صياغة جديدة بلغة جديدة، تجاوز الواقع يحتاج إلى لغة جديدة، تطوير اللغة يؤدي الى تطوير الوعي وتجديده، التوقف عند المفردات القديمة والمفاهيم التقليدية شريك أساسي في تخلفنا، الكلمات تلعب دورا مهما في دفع الناس نحو الافضل، إذا أردت معرفة حقيقة أي شعب أو أمة انظر كيف يفكر، كيف يتحدث، كيف يكتب، هذه أمور تعد مقياسا لحقيقة مستواه ومدى إمكانية قدرته على التقدم إلى الأمام في مسيرة بناء ذاته، لا يحتاج المرء إلى أن يكون عالم لسانيات لكي يتوصل إلى حقيقة مفادها أن اللغات منظومات حية ومتحولة بفعل التأثيرات الداخلية والدخيلة التي تتلقاها مع مرور الزمن

وكل لغة كبلت ذاتها بسلاسل الجمود والمحافظة يكون مآلها النسيان والاندثار.

يرد شرف: الكلمة تعكس حقيقة المستوى الثقافي والأخلاقي لأي شعب، القراءة وسيلة فعالة لبناء ثقافة عالية المستوى يمكنها أن تسهم باقتدار في تأسيس حلم النهضة والحضارة، كل مستلزمات القوة توفرها كلمة "اقرأ" ولهذا كانت أول كلمة نزلت وحيا على نبي الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم-، إنها المفتاح الوحيد لفهم كل شيء ومعرفته، الشعوب التي يحضر الكتاب في رفوف بيوتها ومنازلها ومختلف نشاطاتها شعوب ناهضة وقوية وواعية.

بعد صلاة العصر ذهب شرف وكريم إلى إحدى المكتبات العادية التي لا يتوافر فيها ما يشبع نهم القارئ الحقيقي، كان كريم مرهقا يفكر في سبب هذا التخلف المزمن قال يحدث شرف: يبدو تخلفنا كما لو أنه أمر فطري، نحن مجبرون على التعايش معه وتقبله إن وجود عدد محدود وقليل من الواعيين لن يغير من طبيعة ما نحن عليه أساسا، الناس منشغلون بمطالبهم الذاتية بوعي وسلوك متخلف، والذين يديرون البلاد لا يريدون للناس أن يكونوا واعيين، الوعي عدو السلطة والجهل حليفها.

هز شرف رأسه موافقا كريم ثم قال: أتفق معك في ذلك: وإذا أرادوا لهم وعيا فهو وعي محدود محكوم بقواعد اجتماعية وثقافية متخلفة، هي التي تقوي سلطتهم عليهم، الإسلام لا تصل مفاهيمه إلى الأذهان بشكل

صحيح، وإيمانيات الناس ومعظم يقينياتهم تتسم ببساطة مفهومية غير صحيحة غالبا صارمة وساذجة، الوعي الثقافي الوطني المتخلف هو الذي يسبغ معانيه ومفاهيمه على النص الإسلامي" قرآنا وسنة"، الإسلاميون لم يقوموا بدورهم المفترض بشكل صحيح وغالبا ما يعجزون ثم يتصالحون مع الواقع ويتكيفون معه ويتخذون من عاداته وتقاليده نهج حياة يومية واستراتيجية، لهذا بقي حلم النهضة مجرد تنظيرات فكرية سجينة الأوراق والعقول.

رد كريم: سيبررون كالمعتاد ودائما "لا بد من مراعاة الواقع"!

رد شرف: مراعاة الواقع مسألة ضرورية من أجل فهمه وتغييره وتحقيق نقلات مدروسة في مستوى وعي الناس وعلاقاتهم وسلوكهم، لكن التكيف معه والتماهي مع تأصيلاته الثقافية المغلوطة ينتج كوارث.

لماذا أنا مهموم إلى هذه الدرجة الأمر ليس منوط بي فقط على أن أعيش مسلما بقدر ما أستطيع فهم كيف أكون مسلما حقا، هكذا قال كريم ثم راح يحتسي فنجان الشاي ويستكمل قراءة كتاب كان بدأه.

شرف يتميز بقدرة على الفهم، إنه لا يمر بالتساؤلات إلا قليلا، لأنه واع جدا، شخصية مثقفة وقارئ تتكدس مكتبته بمختلف صنوف الكتب، يجيد فن القراءة ويستطيع أن يتوصل إلى ما لم يفهمه الآخرون بسهولة لطالما عاش قارئ باستمرار، وهذه الميزة منحته تراكما معرفيا ضخما، إن دماغه ذاكرة لا محدودة من المعلومات والمعارف المخزونة، لديه

القدرة على الاسترجاع والإضافة، إنه ينقد ويضيف ويستطيع دمج المفاهيم والمعاني وتركيبها ونسج كلمات مدهشة تتسم بصوابية منطقية، إنه يستطيع إلغاء المغالطات المنطقية التي يتقبلها العقل رغم بطلانها من خلال منطق حق "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" إيمانه بقدرات العقل لا يلغي محدوديته وإمكانية التلاعب به، يقول "كارل جاسبرر": - (عندما يكون الإنسان واعيا بحريته وعيا حقيقيا فإنه في الوقت نفسه يصبح مقتنعا بوجود الله، فالله والحرية لا ينفصلان) ثم يمضي: (فإذا كان الوعي بالحرية ينطوي على وعي بالله فيتبع ذلك أنه يوجد علاقة بين إنكار الحرية وإنكار الله " فالله خيار الأحرار وإنكاره خيار العبيد والعبيد يختارون الشيطان دوما وإن لم يؤمنوا به؛ فهو يحبذ وجود من لا يؤمن بوجوده كشيطان لأن هدفه هو أن يضل الإنسان بأي طريقه، ومن لا يعبد الله فهو بالضرورة يعبده وإن لم يؤمن بوجوده، وإذا كان وجودنا أمرا لا يد لنا فيه وكذلك مصيرنا فإن ما نعتقده ونؤمن به هو خيار متاح لنا، والله موجود والشيطان موجود ومصيرنا يتوقف على من نتبع.

كتب مرة لأحد أصدقاء: " إن الحياة غير ممكنة فيما لو اعتقدنا أنها وجدت هكذا، إن ما نتميز به من عقل يعارض منطقيا فكرة الوجود بلا واجد، هل يمكنك ان تؤمن مثلا بوجود هاتفك الآيفون بخفته وجمال شكله وإتقان صنعه صدفة دون صانع، كما لا يمكن لشيء يخلو من الحياة والعقل أن يحقق نتائج عقلانية مقصودة ومتقنة لا يستطيع أن

ينقش الجمال في جناح فراشة أو في كل شيء، الجمال لا تصنعه المصادفات هل فكرت في هذا ؟!

عليك أن تعيد التفكير في حقيقة التلقينات التي تتلقاها أو ما تقرأه بخضوع دون فحص كمتلق سلبي لنتاج الآخر الفلسفي والأدبي والمعرفي، من يدخل في عقله فكرا عليه أن يفكر في حقيقته أولاً وما إذا كان فعلا يحوي معرفة حقيقة أم لا، إننا لم نفهم ديننا بشكل صحيح ونبذنا تراثنا رغم ثرائه ونفاسة ما يحويه علميا ومعرفيا وثمة مشكلة في نظم الاستقبال لدينا لكتابنا وسنة نبينا وتراثنا الفقهي والفكري والثقافي الإسلامي كمن يشاهد رسالة ارسلت بنظام تقنية (HD)على نظام التلفاز الأسود والأبيض فلا يستطيع أن يدرك تفاصيلها وألوانها ومراميها التي يستطيع إدراكها من يمتلك تقنية(HD) وهذا يدعونا دائما إلى مراجعة نظم الاستقبال لدينا ومدى صلاحيتها لاستقبال الرسائل المعرفية التي تبث على مستويات عليا من اللغة والفكر ومراجعة أنظمتنا المعرفية والتربوية التي تربي الأجيال على نظم الاستقبال القديمة التي تتعامل مع حدود الفهم السطحي والظاهري، والتربية هي الركيزة الأساسية التي ينبني عليها وجود المشروع الإسلامي بمجمله.

يضيف شرف: إن لدينا ثلاثة منطلقات، المنطلق الرسالي المتمثل بالإسلام الذي ينبغي أن نعيد تجديد فهمنا له بطريقة تقترب من حقيقة مضامينه الرسالية والقيمية والأخلاقية ووعيها بحقيقتها، ومنطلق "جيبولتيكي" استراتيجي مكنوز بكل أسباب القوة ومحاط بها، وتاريخ

عريق بإمكانه أن يلهمنا بإيجابية بناءة من خلاله أيضا نعيد تعريف ذواتنا بشكل صحيح واكتشاف طاقة الدفع القوي للعودة إلى مسرحه كي نصنعه، وعلينا أن نجيد كأمة توظيف هذه العناصر توظيفا صحيحا وسليما كي ننهض ونصبح أقوياء بأخلاقية كونية رفيعة.

في اليوم التالي ذهب كريم إلى منزل شرف الذي يقع فوق ربوة عالية تطل على المدينة التي يسكنان فيها تحيط به أشجار خضراء باسقة وثمة عصافير قد نسجت أعشاشها وأخرى تزقزق بنغمات جميلة، كان قد صلى شرف الفجر في المسجد القريب منه إنه مسجد يتمتع باتساع جميل مفروش بسجاد تركي منقوش بجمال ومهابة وإبداع، التهوية فيه جيدة تفتح النفس وتمنحها الصفاء، وثمة إمام ندي الصوت حين يتلو القرآن يجبر كل حواسك على الإنصات، لطالما أحب شرف "الفجر" ودائما ما يقوم بقراءة أذكاره الصباحية بعد الصلاة في منزله، لم يعد أحدا يهتم بقراءة أذكاره لكن شرف من القلة التي استطاعت أن تحتفظ بهذا الاعتياد المثابر في قراءتها، إنها تنطوي على قدرة عجيبة في تقوية النفس وتجنيب الإنسان كل ما من شأنه أن يضره، لقد أضحى ذكر الله في نظر الكثير -إلا من رحم الله- عادة خرافية تنطوي على سذاجة بدائية في عصر يؤمن أكثرهم فيه بالخرافات الفلسفية الناتجة عن تفسير العلم!

لقد احتفظ بهذه الميزة منذ أن كان قد التحق بإحدى الحركات الإسلامية منتصف تسعينيات القرن الماضي دون أن ينظمه أحد، كان شخصا قارئا يجيد وعي الأفكار الجادة والمهمومة ببناء الإنسان والشعوب

والأمم وذلك قبل أن يتم فصله من قبل رئيس هيئتها العليا بسبب رأي سياسي ربما كان شرف قد أخطأ في إبداء رأيه لكن نظرا لحساسية المرحلة وطبيعة التحديات وما تقتضيه من مرونة وصبر كان اتخاذ قرار فصله سليما من الناحية السياسية، تقبل شرف فكرة فصله تلك بعد تفكير عميق "كان الأستاذ على حق "قال يحدث نفسه.

استقبل شرف كريم في مكتبته الخاصة في منزله وكان ثمة طاولة خشبية أنيقة مصنوعة من خشب أشجار عريقة خالية من الزخرفة الزائدة، لطالما كان ذوقه يتمثل في اختيار الأشياء الصافية المنقوشة بشكل جميل والأصيلة أيضا، قال له كريم أنت لا تمل من الكتابة لكني أود ان أسألك: هل يتيسر لكل إنسان أن يكتب أم أنها مهمة شاقة تستلزم مهارات ما.

الكتابة فن يقتصر على ذوي المهارات الخاصة هكذا قال شرف وهو يحدث كريم ؛الكتابة أخطر مغامرة وأعقد لعبة لا تتسم غالبا بأي وسطية الاعتقاد كما يقول أحد الروائيين سخف لا يليق بالكاتب، إنها في جميع حالاتها، الكتابة ليست مسألة سهلة، إنها غالبا رغبة عصية على الإشباع رغبة عنيدة تستبد بالكاتب، إنها "ارستقراطية" في جوهرها كما يقول "ماريو مارغاس يوسا" تنحط حين يتم اغتصابها كبضاعة تدر ربحا ومكاسب، لا يكتب الكاتب للارتزاق الكاتب المرتزق يخون ويغش ذاته والمتلقي والنص، مثل هذا الكاتب التجاري يمسخ

الكتابة إلى ما يشبهها، إلى تكلف أو صنعة، اصطناع محض لا ينطلي إلا على شبيه "القارئ التجاري"!

إنها من الصعوبة بحيث لا يمكن أداؤها بسهولة، وما نسطره يشكل المستقبل ويغير وجه الحياة والتاريخ، تستطيع الكتابة تشكيل لغة المواجهة وحوافز الحرية والحياة الكريمة. الأمم التي تمتلك كُتَّابا وكتبا ومكتبات ومفكرين أمم حية قادرة على البقاء والاستمرار، فالكتابة تشكل وعيا جميعا متعاونا وعاليا في مستوى وعيه وإدراكه للتحديات وما تتطلبه إرادة المواجهة والبناء، لقد استطعت كفرد أن أتشكل وفقا لما كنت أقرأه وأكتبه استطعت أن أنتزع ذاتي بالكلمة من حضيض التخلف ومهما كنت في مجتمع متخلف لكنني على الأرجح أمتلك ذلك التقدير الحازم لذاتي، لا يمكنني تقبل فكرة العيش بتفاهة وبلا أعلى متطلبات الحياة الانسانية السوية، ينبغي أن أعيش حياتي بشكل أفضل، وكما أحلم طالما كانت أحلامي مشروعة لا تضر أحدا، الذين لا يقرؤون ولا يكتبون لا يستطيعون أن يحلموا، ليس لديهم أحلاماً رفيعة إنهم يعيشون أحلاماً بسيطة يمكن لأي حيوان التفكير بها غرائزيا، الحياة كيفما اتفق هي ديدن الذين لم تصل بهم الأبجدية إلى بناء ذاتي وعقلاني يتسم بلغة مشحونة بالتفكير العالي، ليس المهم أن يملك المرء بقدر ما يهم كيف يفكر، كيف ينظر للحياة ما هي ألوان ريشته العقلية، الفقر الحقيقي لا يكون في جيوبك بل في رأسك حين يغدو رأسك فقيرا من دماغ يفكر بطريقة صحيحة ورفيعة فإنك فقيرا حقا وحين لا

يصل بك عقلك إلى إدراك حقيقي لغاية وجودك وهدفه وتعمل بالتالي على أن تكون وفقا لما أراده خالقك منك فإنك فقير حقا، هناك تماثل بين الأنعام والبشر الذين ظلوا طريقهم إلى الله أو نسوه.

جلس كريم على الكرسي ثم أطرق برأسه على الطاولة وقال: تمر لحظات على الإنسان يود أن يتوقف عن الحديث حتى مع نفسه، أن يعيش في صمت كامل بلا كلمة ولا فكرة أو شعور، نحن لازلنا بعيد عن أن نكون بشرا يعيشون حياتهم بشكل صحيح، حياتنا أخطاء مستمرة من التفكير والعمل، لدينا إمكانات ضخمة لكن لا توجد لدينا نخبة قيادية حقيقية تتسم بالكفاءة والأمانة والنزاهة الأخلاقية وتتعالى على ذاتها ولا تنحصر في تحقيق مطالبها الذاتية والعائلية ولا تنخدع بالمقولات الزائفة التي شكلت وعيا وطنيا وثقافيا منحطا وسلبيا يعمل باستمرار ضد نفسه.

رد شرف: بالتأكيد فضعف اقتصاد أي دولة في العالم لا يتوقف على ندرة مواردها الطبيعية أو الصناعية وإنما الخلل في إدارة مواردها البشرية وعدم تعليمه وتأهيله وبناء الإنسان بناء صحيحا وسليما، وعدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وشحة كفاءاتها وغياب أمانتها.

إياك أن تنكسر أخي كريم أو تستسلم للإحباط مهما كان واقعنا محبطا، ينبغي أن نقاوم فيه سلبياته، إياك أن ينقل فراغ وعيه إليك ويؤثر في قدرتك على مقاومته ومحاولة تغييره.

رد كريم: افهمني يا صديقي أنا لست فارغا أن تكون مثقفا يفهم كل شيء لن يغير من وضعنا شيئا، الدولة النهضة، الاستقرار، الأمن، هذه أمور إنجازها يتطلب وعياً مجتمعياً ووطنياً واعياً حقاً، لا يمكنك أن تضع شخصا كفؤا وناجحا مثلا رئيسا لمجتمع متخلف؛ لأنه مهما حاول أن يبني هذا المجتمع فسيظل يهدم محاولاته وسيجعل منه أفشل رئيس قاده.

استطرد كريم: الناجح في وعي هذا الشعب من يستطيع أن يسيطر عليه ويستبد به ويقمعه ويفسد حياته وينهب حقوقه، وهذه هي حقيقة شعوبنا، أنا محبط من كون أمتنا ستنهض يوما!

رد شرف وفي فمه ابتسامة عريضة كأنها الشمس المشرقة: صديقي كريم، لن يتوقف الكون لأنك محبط ولن تقام طقوس العزاء لأنك حزنت، الجميع قادر على تأمل لحظة سقوطك أو حزنك لذا قف وانهض ورمم نفسك بنفسك، واجتهد ما استطعت في بث روح الكفاح من أجل غد وطني وإسلامي أفضل، لقد فقدت يا صديقي كثير من الأشياء التي كنت أظن أنها ستدوم إلى الأبد، وعشت كثيرا من الانكسارات التي كان يفترض أن لا أعيشها في حياتي، وذقت كثير من خيبات الأمل في أشخاص كُثر وثقت بأنهم في ذات الخط الفكري والنضالي الذي آمنا به معا، لكني قاومت وبقيت صامداً وأدركتُ أن الحياة غالباً لا تأتي كما نريد وأن تغيير وعي الناس وواقعهم

يتطلب عملا منظما ومستمرا لرجال مخلصون لما يؤمنوا به حقا وما يحلمونه لأوطانهم وشعوبهم وأمتهم.

يهز كريم رأسه قبل أن يحتسي رشفة شاي من فنجانه: لقد جفت أحلامنا لم يعد لدينا أحلام، كما بدأ ينفد الأمل من كون شعبنا سينهض وأمتنا ستتحرر وتتوحد!

يرد شرف: من لا حلم له لا مستقبل له، الحالمون أقدر الناس على بلوغ أعلى مستويات الوعي لأن في أحلامهم ما يدفعهم إلى أن يكونوا أفضل، ثم إن الأحرار وحدهم قادرون على الحلم، العبيد لا أحلام لهم، وكل من حلموا استطاعوا أن يتحرروا وينهضوا.

استأذنك إذا أخي شرف لقد حان وقت ذهابي ثمة أعمال خاصة يجب أن أنجزها- قال كريم -ثم وضع كتابا كان في يده على الطاولة وذهب.

أخذ شرف يفكر في الحوار الذي دار مع صديقه كريم، كريم بالنسبة لي أخ عزيز إنه ليس مجرد صديق فحسب، وحواري معه شيق صحيح إنه يبدو أحيانا كثير تساؤلات ومحبط لكنه سرعان ما يتخطى إحباطاته ويجد لأسئلته أجوبة، كما أنه يحفز لدي القدرة على التفكير.

التفكير وليد التساؤلات، علامات الاستفهام أسهمت في تقدم الفكر البشري ونضوج العقل أيضا، إنها الصخور الصماء التي يستطيع

معول الفكر البشري تحطيمها حين يبدع في القدرة على النحت بشكل أفضل.

صناديق فضولي تمتلئ أحيانا دون جهد مني -يقول شرف- لطالما استطعت تكوين رؤية سليمة عن مجمل ما يحدث في الحياة غالبا من خلال تجاربي وقراءتي، صحيح عانيت كثيرا وواجهت المكائد والنبذ لكني كنت دائما أثق بما أعتقد وأول ذلك الاعتقاد هو إيماني بالله وأنه قريب مجيب، حين ترسل بذور الدعاء إليه تعود إليك ثمارها في مستقبلك، فإذا انشغلت بتحصيل رضا الله عنك جعل الناس مشغولين بتحصيل رضاك عنهم، ورضا الله لا يكون فقط في اعتزال الحياة بدعوى العبادة؛ فالحياة كلها محراب عبادة والعمل الذي تجيده وتتقنه وتنهمك في إنجازه قاصدا وجه الله هو عبادة، "وأعمال الخير التي تعملها والتي لا يراها أحد غير الله هي سر قوتك" وحين تستقيم كما يريد منك ووفقا لطريقة صحيحة تتمثل بالتزام هدي نبيك تشق لك الاستقامة دروبا جديدة وتنحت صلابة التحديات أمامك، المستقيمون حقا أقدر الناس على تخطي واقع البؤس اليومي الذي يذوقه الكثير، وحين كنت أُظلم كنت أمنع رغبة الانتقام في نفسي من أن تخرج غيظها بأي شكل كان ولو كان بصيغة قولية غير ضارة، أنا شخص تخجله مسألة التعبير عن رغبته في الانتقام، إنه منطق يناقض حقيقة ما ينبغي أن يكون عليه المسلم حقا، صحيح أن من يرحم الظالم يخون المظلوم ويفقد إنسانيته كما قال واضع أسس دولة الخلافة الإسلامية

العثمانية "آرطغرل بن سليمان شاه" لكن الإحسان قيمة عليا تقودك إلى الجنة هذا حين يكون الظلم في حقك طبعا مع القدرة على تحقيق العدالة إن شئت، أما فيما يتعلق بحق الآخرين فالأمر يعود إلى تقديرهم الذاتي.

لطالما وقفت ضد فكرة أن منشأ الانشغال بالعدالة هي أخلاق الانتقام، فالعدالة هي التعبير الأخلاقي عن الرغبة في الانتقام ممن ظلمنا ولكن بشكل عادل، ومع هذا لم تنشأ لديَّ رغبة الانتقام ممن ظلموني وإن كان بشكل عادل، كنت دائما أتذكر "الإحسان" كقيمة أخلاقية رفيعة جدا يحب الله من يتصفون بها يثيب الله عليها من يمارسها وكنت أصمت، لكن الله كان ينتقم لي دون إرادتي أقداره تصيغ مجرى حركة الحياة بشكل عادل يتخطى قدرة الظالمين على مواجهتها وتكشف لهم عن حقيقة ضعفهم وتفاهة اعتقادهم حين ظنوا أنهم من القوة أو المكر بحيث لا يمكن لأحد مواجهتهم أو كشف حقيقتهم وإبطال سحر كيدهم ولم يحدث أن انتابتني يوما رغبة في إذلال أحدٍ سوى من يذل الناس.

مساء الجمعة التقى شرف وكريم في المسجد الذي يقع بالقرب من منزل شرف، كان شرف جالسا باتجاه القبلة بيده مصحف صغير مرسوم بخط أنيق جاء به من تركيا يقرأ سورة "الكهف" ألقى عليه كريم بهدوء السلام وصافحه.

أهلا بك أخي كريم-حياه شرف- أنت رجل مؤمن لديك قلب طيب ذهنك صاف كالسماء كما لو أنها منحتك بعض صفائها في يوم مشمس خال من الغيوم، هلم بنا كي نقرأ سورة الكهف، اتجه كريم بعد أن هز رأسه مبتسما من إطراء شرف له نحو رف قريب منهما لأخذ مصحف، وجلس يقرأ بجانب صديقه كريم التفت شرف نحو كريم ثم قال له: القراءة الواعية مطلب أساسي في ديننا، نحن في زمن نضوب المعاني والمفاهيم الحقيقية، إنه عصر المعاني الزائفة والمعلبة كدمى زهرية مصنوعة من العاج، المعنى مثلا ليس فيما نملك، لا يمكن للمادة أن تمنحك المعنى ولكن المعنى يكمن في هدف استخدامك لها في القصد والغاية وليس في ذات المادة وفي الكهف دروس عظيمة ومعاني متجددة وهي سورة تمنحك رؤية بعيدة المدى تستطيع أن تتخطى بك أسوأ أحوالك ومشاعرك، إنها تمدك بالمعنى والرؤية، فالمعنى يمنحك القوة والرؤية تجعل نَفَسَكَ طويلا وتنتج لديك الصبر والمثابرة لأنك ترى أبعد من النظرة القريبة والمنفعلة التي تستلم لضغط اللحظة الملح وتستفز مشاعرك.

ماذا تقصد -قال كريم-؟

رد شرف: من خلال قراءتي لقصة نبي الله موسى عليه السلام والرجل الصالح تبين لي أن الله يدبر كل شيء لحكمة وقد نجهلها، ومع الأيام تتضح الرؤية"

يرد كريم –كيف-؟

-حين يحدث لك قدرا مؤلما فعليك أن تسلم الأمر لربك وترضى بما قدره، وتدعوه أن يخلف لك بخير ويلطف بك.

لقد أراد هذا وعلينا أن نسلم بذلك، الأهم أن نعي جيدا أن تقدير ما نظنه شر لنا ليس كذلك، أن تواجه مصاعب في حياتك وأنت مؤمن ومستقيم هذا لا يتطلب منك أن تُبدي امتعاضاً ستحدث أشياء قدرها الله لك لا طاقة لك في مواجهتها ولم تحتسب حدوثها، يحاول الشيطان أن يحزنك لأنها حدثت، ويحاول أن يلقي في نفسك أنك لست مقبول عند الله وأنه لا يحبك وهذا ليس صحيحا.

اندهش كريم: إنني أقرأ سورة الكهف كل يوم جمعة لكنني لم أكن قادرا على فهم المعاني الكامنة فيها ثم قال هذا يعني أن "الإيمان يقتضي التسليم " هز شرف رأسه نعم وعدم الاستسلام أيضاً، الإيمان هو أن تسلم بقضاء الله وقدره وأن لا تستسلم للظلم أو الواقع فأنت حين تؤمن بالله تستسلم له وكذلك لا تستسلم لمن سواه أو لأي واقع لا يتفق مع ما أراده، وحين تبلغ بجهدك مداه بعد استعانتك به تكون قد أديت واجبك وسلمت الأمر له وهو من بيده النتائج، ثم أردف شرف: ومن الكهف تعلمت أيضا أنه ما لا طاقة لك بتغييره يجب أن تدرك أن الله أراده لك لخير تجهله "وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا " لا حظ حدث لهما هذا مع أنهما مؤمنين، لا شك أنهما أصيبا بالحزن يا صديقي والأسى وحرقة الفقد لفلذة كبدهما، لا شك أنهما تألما جدا، لكن إيمانهما تجاوز بهما ما ظنياه قدرا غير جيد لهما، لم

يخرجا عن إيمانهما، ولأن الله يحبهما فقد غير مستقبلهما بموت ابنهما وبالتالي فقد كان موته غلاما خيرا له ولهما، فقد مات بريئاً من الذنوب وكان موته تجنيبا لوالديه طغيانه وكفر أبوتهما وما فعلانه من أجله.

القرآن أخي كريم يمدنا بوعي الثبات مع التفكير القادر على أن يتجاوز بنا تلك اللحظات الضاغطة لحظة حدوث ما يجعلنا منفعلين، أخبرنا القرآن على لسان العبد الصالح أن أبوا "الغلام" المقتول كانا مؤمنين، وهنا لا بد أن تلاحظ أن المؤمنين يحدث الله لهم ما يجعل حياتهم أفضل ويبدل أحوالهم ويغير مسار أقدراهم السيئة بقدر يتألمون من حدوثه (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)غير مدركين سببه ولماذا حدث لهما، كما أن الصالحين يتولى الله ذريتهم لصالحهم ويخرجهم من العوز والفاقة إلى الرزق والتيسير في مجتمع شحيح تملؤه القسوة إلى درجة أنه يأبى تضييف الضيف والعابر السبيل ولا يهتم باليتيم فيمنح جدارهما إرادة تشير إلى الانقضاض كي يقوم العبد الصالح بإقامته أي تعديله أو بنائه في مكان آخر حتى يزاح من فوق الكنز ليكتشفه الغلامان أثناء حرثهما الأرض ويستخرجانه، والمساكين يتولى الله حماية أرزاقهم ووسائل عيشهم من الحكام الطغاة المتجبرين، فحين يجد أن في السفينة خرقا فإنه سينظر إليها بازدراء؛ فهي لا تستحق أن يأخذها سيأنف ذلك فهو يريد سفينة ليس فيها عيبا، فالملوك يريدون أشياء ثمينة خالية من العيوب وليس في ما يملكه المساكين ما يغريهم بأخذه!

والأعمال التي أحدثها العبد الصالح والتي استنكر موسى عليه السلام فعله لها كونها لا تتفق مع منطق ما يرى أنه خيراً حدثت لمساكين لا يملكون قوة تحميهم من ملك يأخذ كل ما يعجبه بالقوة فكان الخرق عيب يكسر نفسية الطمع لديه بسفينتهم فلا يأخذها غضبا فيستمرون في تحصيل أقواتهم بها.

ثم حدث لأبوين مؤمنين في أن قُتل ابنهما كان سيجعل حياتهما غير جيدة، ثم حدث لصالح أبناء رجل صالح أن تم إقامة جدار في أرض تركها لغلاميه ومات دون أن يدري أن تحته كنز فأقامه العبد الصالح كي يتمكن الغلامان من استخراج رزقهما المدخر الذي ضمنه صلاح أبوهما؛ فصلاح الآباء يضمن الله به رزق أبنائهم حين يرحلون من الدنيا ويتركونهم دون معيل، فالله هو الذي يتولى أبناء عباده الصالحين ويضمن صلاح قلوبهم وأرزاقهم وأحوالهم، فلا شك أن الغلامين كانا صالحين والله أعلم!

إذن: انظر أخي كريم: عيب ضمن استمرار وسيلة رزق مساكين وحماها من النهب، أحيانا تحميك عيوبك أو ما تظنها عيوب لديك، وبساطة أشيائك تحميها لك من الطامعين.

-وقتل غلام ضمن استقامة والديه، وبديل أفضل منه، فالثبات الإيماني عند حدوث قدر يؤلمنا أمر مهم، فالله بهذا القدر أزال مخاطر المستقبل من أمامنا، وأزال محبوبات لدينا يكتنفها شرٌ لنا ليعطينا خيرا مما أخذ.

-وإقامة جدار أخرجت رزقا كان صلاح الأب سبب في الاحتفاظ به لهما ليمكنهما الله من استخراجه وقت حاجتهما إليه وفي سن الرشد الذي يمكنهما من التعامل الحكيم بما يملكان، فهو كنز -لاشك- ثمين وباهظ الكلفة، ولا شك أن ثمة دعوة لهما من أبيهما الصالح قادت العبد الصالح إلى عند هذا الجدار ليقيمه؛ إيذانا بخروج كنز غلاميه اليتيمين من تحته، فالدعاء كنز ثمين له بعد استراتيجي متحقق إذ يضمن الله به مستقبلا أفضل لأبنائنا ويمنحهم اليسر والحياة الطيبة والعيش الكريم، والدعاء عبادة لا يؤديها باستمرار سوى الصالحين المؤمنين الذين أمرهم الله بأداء هذه العبادة(ادعوني استجب لكم) وهم بأدائها ينفون عنهم الكبر ويؤكدون دوام عبوديتهم لله وضعفهم وعجزهم وافتقارهم إليه، فالدعاء إقرار جاد وضارع بكونك عبد ضعيف فقير إلى الله القوي الغني الذي له العزة جميعا، ذلك أن من لا يدعو الله مستكبر تافه لا يعرف حقيقته ولا يعي قيمة هذه العبادة وأهميتها وضرورتها له (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قد لا تتخيل أثر الدعاء ولكنه قد يقلب واقعك المتراكم من الآلام في لحظة إلى ربيع لم تشهده في حياتك من قبل، ثم إن الحياة تضيق جدا على كل إنسان ولكن لا يستطيع تجاوز دائرة الضيق إلا من يتجه بقلبه وروحه إلى ذكر الله يلتزم صلاته ويذكر ربه كثيرا ويناجيه ويستغفره وهؤلاء هم الوحيدون الذين لا يغلبهم ثقل الحياة وشر القدر.

وينبغي أن تكون أخي كريم على يقين ثابت بهذه الحقيقة: حين يحدث لك قدر لا تحبه وأنت مؤمن مستقيم على أمر الله فاعلم أن فيه خيرا لك سواء علمته أم جهلته الأهم أن ترضى بما قدره الله وتثبت في إيمانك واستقامتك، فالثبات حركة توصلك إلى كل خير "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" تكون إرادة الله أحيانا معاكسة لمرادك لكنها دائما لمصلحتك، إيمانك بهذه النقطة كفيل بأن يمنحك الرضى بكل ما حدث لك أوما سيحدث لك ويغير حياتك إلى الأفضل.

وعندما يحدث قدر أكبر من قدرتك على مواجهته بقدر أو عندما لا تحصل على ما تريد أو ما تعتقد أنك تستحقه هذا لا يعني أنك تعيس حظ كما يقولون، لا، بل يعني أن الخير فيما لم تحصل عليه وأن الشر قد يكون كامنا في حصولك عليه، وتقدير الله هو الأفضل دائما، والتسليم بهذا القدر هو عين الإيمان، قد تتألم في أنك تعبت كثيرا ومللت من كون الأمر يأتي على غير ما كنت توده، لكنك في النهاية مؤمن، والإيمان وسيلتك الوحيدة في جعل كل الأشياء هينة عليك.

لعل كريم استوعب مفاهيم جديدة إعادة قراءة القرآن الكريم بتدبر ووعي يفتق مدارك الإنسان ويلهم بصيرته ويجدد معاني نظرته للحياة وما فيها، القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يمنح الإنسان المعرفة الحقة والمعنى الحق والرؤية الحقة، إنه نهر عطاء عذب صاف متدفق تأثيره شامل في النفس هدى وبصيرة وشفاء لأدواء النفس والجسد، وهو الذي يحوي التوجيه السديد لمجمل نشاطه وحركته وعلاقاته، هو الذي

يشكل قوة الإنسان ويعيد صياغته كأرقى ما يكون. القرآن هو الذي يفتح بصيرة الانسان بشكل صحيح هو الذي يمده بالوعي حين يضلل سحر أعداء أمتنا نفوس أبنائها بالزيف يبطل القرآن كيد سحرهم الإعلامي والسياسي والفلسفي ويستعيد عقولهم المسلوبة من قبضتهم ويحرر وعيهم من التلاعب ويطلق إرادتهم وينظمها على شكل جهد موحد رباطه التقوى والإيمان، إنه المصدر الوحيد للحقيقة المطلقة.

العالم بدأ يسأم الحياة المادية التي يتميز بها هذا العصر ويحاول أن يعود إلى الخلف ليعيش في الماضي –قال كريم-؟

رد شرف بالتأكيد لقد أخلى هذا العصر الإنسان من المعنى الحق، استنزف روحه وضميره لكن الإنسان لن يعود إلى الماضي سيظل في قلب هذه التحولات ويتكيف معها ببؤس وشقاء، فقط هو يحتاج إلى منهج يهديه ويعيد إليه الوعي بحقيقته وغاية وجوده ويمنحه التوجيه اللازم لعيش حياته بشكل صحيح، إن هذا الإنسان يعيش مرض غياب " الوعي بذاته وغاية وجوده ومصيره" وهذه الحقائق الغائبة عنه موجودة في الإسلام وحده، إن الأديان والمعتقدات الأخرى لا تصلح لهذه المهمة مطلقا لأنها من التحريف والضلال ما تزيده إضلالا وضياعا. لم تعد صالحة ولن تكن صالحة لهدايته، هذا لا يعني أن نفرض ما نعتقده عليهم، لا يمكن للقوة أن تكون سبيلا للهداية إن هداية الناس للحق تستلزم الإخلاص والرحمة والعطف، فالإسلام يحمل منطق قوته في ذاته ولكنه يحتاج إلى الأقوياء في فهمه وامتثاله وحمله وتبليغه

والحكمة في الدعوة إليه، كما أننا كما يقول المفكر الاسلامي محمد يتيم " بحاجة أكيدة إلى أن يراعي خطاب الدعوة منطق العصر ولغته وخصوصيات المرحلة التاريخية والحضارية التي تمر بها وتجتازها أمتنا وهذا لا يعني أن تغير هذه الدعوة طبيعتها ولا أن تلغي بعضا من حقائق الإسلام كي يتطابق مع أهواء العصر بقدر ما يعني ذلك مخاطبة أمتنا بأسلوب يراعي ظروف الفتنة التي جرت إليها جرا بما يبرئ ذمة الدعاة ويحقق في البلاغ صفة الإبانة".

حين كان شرف وكريم في نزهة قال كريم لدينا عادات وتقاليد ضارة ومع ضررها نعتز بها، بل تصبح دينا مع أنها تخالف الدين ويصبح التسليم بها كما لو أنه منطق عقائدي صارم.

رد شرف: نحن غارقون في التخلف حين تواجه التخلف وتحاول أن تبني ثقافة حية نافعة منطلقا من مفاهيم الاسلام كمرجعية قيمية وتوجيهية توصم بأنك لست "قبيلي" وأنه ربما لا جذور لك وبالتالي نحن واقعون بين جهل مجتمعنا بحقيقة أعرافه وجل موروثه الثقافي وما يريده موظفو الغرب من مجتمعنا لكي يتخلى عن دينه ويصبح متطورا من وجهة نظر مرجعياتهم الفكرية والفلسفية المستوردة، بل إن هؤلاء يدعمون القيم الأكثر تخلفا ويرسخونها لأنها تحقق ما يريده الغرب من بقائنا متخلفين تستطيع تقاليدنا وموروثنا الثقافي المرتبط بجذور جاهلية أن توقد الصراع والحروب والخلافات فيما بيننا باستمرار وتؤبد تخلفنا وتجعلنا قيد التبعية والضعف والاستغلال، نعم إن كثير من أعرافنا

والمعاني المرتبطة بموروثنا الثقافي نجحت في إفراغ الوعي الوطني المسلم من معاني الإسلام ومقاصده الحقة وبالتالي أنتجت اختلالا نفسيا وأخلاقيا وسلوكيا لم يفضِ بنا إلى أي خطوة صحيحة إلى الأمام، لقد أدرك الاستعمار أنه لكي تضمن بقاء تخلف أي أمة أشعرها بأهمية ما تملكه من قيم غير جيدة، ثم بربك قل لي كيف يمكن أن تبنى دولة مثلا ولا يوجد لديها أساس فكري وثقافي وطني صحيح وسليم؟

يستحيل إرضاء الناس في كل الأمور، لذا فإن كل همنا الوحيد ينبغي أن ينحصر في إرضاء ضمائرنا –قال كريم-

أجاب شرف: صحيح ما قلته لكن هذا لا يعني التخلي عن مهمتنا كمسلمين أولا في العمل بحسب ما نستطيعه وعلى شاكلتنا وبالقدر الذي تبلغه جهودنا، نحن نؤمن بالله وهذا الإيمان يوجب علينا العمل باستمرار من أجل تبليغ رسالة دينه.

استطرد شرف: أن نسير معا سنصل حتما إلى حيث نريد، التفكير بأنانية لا يبلغ بالمجتمعات مستويات أفضل ولا يحقق لها مستقبلا أجمل، الأنانية والتماهي مع منطق حب السيطرة أسباب حيوية في تخلفنا، هناك من لا يريد لمجتمعه أن يكون واعيا وأن يرتقي مستوى تفكيره وسلوكه التخلف بالنسبة له عنصر حيوي في بقائه مسيطرا، المعرفة والوعي تنزع سلطته وتكشف زيف ادعاءاته وتحرر الناس من أي عبودية كلما زاد وعيهم ومعرفتهم أصبحوا قادرين على الاختيار الواعي ومدركين لما ما يمكنه أن يجعل مستوى حياتهم وعلاقاتهم أفضل، هناك

قوى لديها دائما الرغبة المريضة في إذلال الناس والتحكم بهم، والجهل أداة السيطرة الفعالة في ذلك، إن علينا أن نواجه باستمرار موروثنا الثقافي المتخلف كما نواجه الفكر الفلسفي الغربي وثقافته الوافدة مع الاستفادة الواعية من عطاءاته الإيجابية؛ وذلك من خلال إعادة الوعي بالإسلام ذاته وتصحيح المفاهيم حوله، لا يوجد أعدل وأصلح للبشرية من النظام الإسلامي أخلاقيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ومع مرور الزمن سيدرك عقلاء العالم أن التشريع الاسلامي سبقهم في إدراك العلل الخفية والمقاصد العظيمة، فالعلة ليست في ذات الدين وإنما تكمن في فهم ماهية هذا الدين ومقاصده السامية، فالإسلام -مثلا حرم الربا لأنه من أكبر أسباب اندلاع الحروب فأصحاب الأموال يستفيدون من الحروب لإقراض الكيانات المتقاتلة بفوائد ربوية ولذا فإن اليهود غالبا يقفون وراء كل حرب يجنى منها المال وهم أول من أباح الربا في العالم.

القراءة والحوار الهادئ والنقاشات تلعب دورا في تعزيز الوعي وتسهم باقتدار في تصويب مسيرة أي أمة في مسعاها لأن تكون حضارية وناهضة ومركزية، ولعل شرف وكريم من هذه النوعية، نحن نستفيد من أفكار الآخرين -قال كريم- وبعض أفكارنا هي في الأصل أفكار أشخاص آخرين استطعنا الإضافة إليها وأعدنا عملية صياغتها وإعادة توجيهها بشكل أفضل، كما أن معظم الناس لديهم مشكلة ضعف توجيه أفكارهم.

رد شرف وهو يبتسم: معظم الأفكار لم يتم اختبارها في الواقع رغم ذلك يعيش أصحابها على افتراض أن ما يعرفونه هو الحقيقة، وغالباً لا أثق بأولئك الذين يتباهون بمبادئ لم تختبرها الحياة فيهم، كما أن معظم أفكارنا ومبتكراتنا تتوجه نحو مشاريع التسمين البشري!

كما أنه كلما حاولنا نقل الحركة الإسلامية اليمنية واقعيا من وعيها المحكوم بالنص الاجتماعي المتخلف ومفاهيمه المنحطة إلى النص" القرآني والنبوي المقدس" بأسمى توجيهاته وتطبيقاته وتجلياته العملية وسمو مسلكه أبت إلا أن تبقى في شرنقة وعيها الاجتماعي المتخلف وأخذت تفسر المفهوم الإسلامي طبقا لمعنى الموروث الاجتماعي المنحرف وتتعايش معه ولا تغيره وتصبغ على معاني الإسلام السامية والعادلة معاني الوعي الثقافي والاجتماعي المتخلف والظالم الموغل في صناعة التراتبيات وتكريس منطق السيد والعبد والأصيل والرديء.

كان ثمة عصفور جميل يغرد بالقرب منهما فيما كان يجلسان أحدهما بجوار الاخر في إحدى حدائق المدينة ، وثمة عصفور آخر أصفر يجتهد في بناء عشة، وفراشات تائهة منقوشة ريشها بالجمال تقبل الورد، وأزهار تلون الحديقة، وصخب طفولي لاهٍ لا يتوقف.

كانت نزهة جميلة -قال شرف- يطربني كثيرا صوت العصافير، اسمع مثلا هذا الموسيقي الصغير له لحن عبقري نادر يثير الشجن في نفسي حين أسمعه يلهمني تقدير إبداع صنع الله فينطق قلبي ولساني بالتسبيح والتبجيل له -عز وجل-إنه يتحرك ويغرد بمرح ويجد رزقه لا يهتم بشكل

سلبي كما نفعل نحن البشر حين نغتم لرزقنا ومستقبلنا، الحياة مبهجة جدا يا صديقي إنما نحن البشر أحيانا نلونها بمشاعرنا ـ لكنها تظل في الحقيقة هي كما هي بألوانها باخضرارها وجفافها بخريفها وربيعها ونظرتنا لها ما لم تكن على النحو الذي هي عليه فإنها لن تغير شيئا من طبيعتها لكننا حرمنا أنفسنا بنظرتنا المتشائمة لها من انعكاس جمالها على نفوسنا، إن النظر في جمالها والسماء وما فيها بتفكر هو نوع من العبادة الراقية التي تمنح عقل الإنسان وعيا بالحقيقة وتملأ قلبه بمشاعر الدهشة والإيمان (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) والتأمل الواعي فيها نوع من العبادة التي تعزز يقين الإنسان وتجدد روحه وتنعش وجدانه ومشاعره، إنها عبادة عقلية وروحية جميلة والحفاظ على البناء الروحي مسألة مهمة لبقاء الإنسان في حالة أخلاقية ونفسية وصحية ومعيشية جيدة، فإذا كان المرض قدرا من الله عز وجل وكذلك الرزق فإننا كبشر نسهم في تكوين واقعنا من خلال إيماننا أو عدمه ومن خلال تواصلنا الحقيقي بالله -عز وجل- أو عدمه.

أحيانا يحس المرء أن في داخله مدنا هدمت وأخرى تقام فيها حروب –قال كريم- انظر ثورتنا مثلا لم تحقق الغاية المطلوبة من قيامها لا زلنا في قلب العثرات ولايزال تأثير النظام السياسي السابق ومخلفات الإمامة قائمة على شكل ثقافة فردية ومجتمعية كل ما حدث هو أن التغيير لم يفضِ إلى تغيير أفضل وأهمية ووجو لقد أدى إنتاج التخلف والفساد بصيغ جديدة، جدد الشعارات لكنه لم يجدد الواقع، لقد دخلنا

مرحلة حروب لم تتوقف بعد، يضيف كريم: معظم مفاهيمنا السياسية خاطئة، ومعظم أفكارنا مشوشة وغير واضحة، حتى أحلامنا صارت غريبة عنا، وأصبح الإحساس بالغربة في الوطن كبير!

رد شرف: النوايا الطيبة لا تكفي للقيام بثورة وضمان نجاحها، كل تغيير سيحمل معه بذور ماضٍ يحاول العودة مجددا، يلزمنا الكثير من الإرادة الممزوجة بالغضب وأحيانا الأحقاد المؤقتة كي تستمر الثورة في إنجاز أهدافها –يستطرد شرف-: ما من ثورة عبر التاريخ مشت في طريق معبد وما من ثوار لم يشقوا طريقهم إلى الغد دون قتال وتضحيات، الثورات لا تحتمل خيارا ثالثا أو مسارا بديلا فإما أن يعمل الثوار على تحقيق أهدافها في كل الظروف، أو تعمل فيهم قاعدة الاستبدال "وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم".

ومع ذلك نحن ننتصر بالحب أيضا وليس بالحرب وحدها تصنع الانتصارات، الحروب هي الخيار الأخير حين يصبح الباطل مهيمنا ويكف عن لغة الخداع ليستخدم القوة والسلاح في مواجهة الحجة والبرهان أو حين لا يتقبل فكرة حرية الناس في أن يختاروا ما يعتقدونه ويؤمنون به ويرغبون في منهج يحكمهم، ومهما حاولت المجتمعات المسلمة أن تحتكم إلى غير دينها أو تسير في غير نهج نبيها فإنها لن تفلح، مجتمعاتنا وشعوبنا لا يمكن أن تنهض خارج سياق هويتها وتاريخها حتى وإن استعارات هويات أخرى ستفشل حتما لأنها ليست من طبيعتها ولا تتفق مع حقيقتها الخاصة.

حين عودته إلى منزله مساء بعد نزهتهم أخذ كريم يحدث نفسه عن صديقه شرف قال: شرف واحد من الذين يجيدون الهمس للشمس، لطالما اتسم بالصدق والذكاء والوعي العالي، إنه من أحد أبرز نخبنا الوطنية والاسلامية المدفونة لكنه رجل أيضاً لا يحب الظهور إنه يدفن ذاته كبذرة يتطلب نموها الظلام، الأفكار العظيمة ينتجها رجال ذو نوعية خاصة رجال يعرفون أن الحياة لا تتطلب شهرة ومكانة بل تتطلب جهدا مخلصا لله يفضي إلى تحقيق ما أراده، هو يبحث عن شهرة الآخرة عن تكريم آخر وأضواء لا تشبه أضواء هذه الدنيا واحتفالاتها الصاخبة والزائفة غالبا، ذات مرة عرض عليه أحد المخرجين التمثيل قال له أن لديه أيضا شخصية رجل جاد يمكنه أن يكون ممثلا يؤدي أدورا تتسم بالصرامة والجدية فرفض مع أن التمثيل خيار مربح لمن يبحث عن المال والشهرة والسفر، إنه يرفض أن ينتقل من حقيقة كونه كاتبا حرا ينتج الأفكار ويمنح أدوات المسرح "الممثلون" الكلمات المناسبة لأداء أدوارهم والأفكار التي ينقلونها عل شكل تمثيل يلهم الناس ويرفع وعيهم إلى مجرد ممثل تديره آلات الربح ومشاريع بيع الوهم غالبا على شكل أداء تمثيلي ودرامي لا يخدم أمه ولا يبني لديها وعيا حقيقيا، الممثل هو الشخص الوحيد الذي يمارس أدورا لا تتفق مع حقيقته الشخصية شخص أشبه بالدمية يمكنه تأدية أسوأ الأدوار بقناعة تامة يتحكم به كاتب السيناريو والمخرج، وهو الوحيد الذي يتصنع مشاعره تصنعا مقبولا لدى المشاهد الأبله ومؤثرا فيه فحين يبكي الممثل زيفا يبكي

المشاهد حقا، يستنزف غالبا مشاعر الجماهير الساذجة ليجني من إقبالهم على المسلسل، أمولا طائلة فيما يأخذ هو القليل يذهب محركوه كدمية بالكثير!، كما أنه لا يعيش المثل التي يؤديها على خشبة المسرح في واقعه.

لطالما اختار شرف أيضا أجمل أسلوب للتعبير عن نفسي أيضا وما أفكر به-قال كريم-

في اليوم التالي قال كريم مادحا شرف: أنت فنان في نسج الكلمات، ماهر في غزل خيوطها وحياكة مفرداتها، كصائغ ذهب يضع جواهر الألماس في مواضعها المناسبة بجمالية رفيعة.

رد شرف وهو يشعر بالخجل من إطراء صديقه كريم: ربما كنت واحدا من الذين خلقهم الله لتكون مهمتهم في الحياة أن يكتبون ويصنعون لمن لا يستطيعون الحلم أحلاما، وهذه هي مهارتي الأساسية وموهبتي التي كأنها ولدت معي وستبقى إلى أن أصل القبر.

كان كريم صادقا في وصف صديقه شرف، إنه واحد من الذين لا يبيعون الأوهام غالبا على شكل دراما ساذجة، لكنه يصنع لهم أحلاما حقيقية جادة وممكنة التحقق إذا أخذت بجد وجهد وعزم واهتمام وتحولت إلى رؤية جمعية استراتيجية هدفها نهضة الجميع وكرامة عيشهم وضمان مستقبل أفضل لهم ولأجيالهم، إن مهمة الكاتب الأساسية أيضا

هي حث الناس على أن يكونوا أحياء الضمير لديهم وعي كامل بحقيقة إنسانيتهم وغاية وجودهم.

شرف مثل جده -رحمه الله- تماما كان سمير نجمة الفجر يتواعد معها كل يوم على التسبيح لم تسكن الأحقاد وعيه لقد شق الإيمان قلبه وأخرج مضغة الغل منها، يكتفي بالنظر في عيني من أساء له وينتظر لعبة القدر في تحقيق العدالة لأن الظالم يصنع عاقبته بنفسه مهما ظن واهما أنه انتصر.

في ظهيرة اليوم التالي كان شرف يجلس في منزله تحت شجرة فارعة الطول وبجواره ترمس صغير يحوي شايا تم إعداده بعناية وفي يده كتاب، وأمامه منضدة صغيرة عليها قلم وأوراق شبه مبعثرة مكتوب عليها بخط رديء كلمات سردية تسحر الوجدان كان الخط مكتوب بقلم مدبب السن، فقد كان شرف يعشق الأقلام المدببة جدا، إنها تناسب مزاجه في الكتابة. وفجأة رأى ظل شخص قادم من بعيد لم يتبين من هو!

قال في نفسه وهو يبتسم: لعله المشاغب الطيب صديقي كريم، بعد دقائق كان حدسه صادقا فقد كان ذلك الظل كريم يتأبط رواية أدبية مترجمة بعنوان "الخيميائي" لباولو كويلو" بللها بعرق يديه من قوة حرارة الشمس، حياه كريم فرد عليه شرف السلام قائلا:

أهلا أخي كريم تفضل بالجلوس هنا في هذا المتكأ الذي بجواري ثم إني أراك تقرأ هذه الأيام لباولو كوليو هذه رواية أهدتني إياها منذ سنوات أكاديمية لا أتذكر اسمها جيدا، كان صباحا جميلا يرفع معنويات من يستنشق جماله المنطوي على إحساس بالأمل بعد عاصفة برد شديدة لليلة سبقته حين التقيت بها لأخذ تلك الهدية الروائية جاءت بها وهي تتأبطها في حقيبة جلدية تتدلى من كتفها الأيمن إلى خاصرتها أتت بها من القاهرة، كانت لديها دوافع تنموية كونها مهتمة بما يسمى علم البرمجة العصبية واللغوية، ظنت أن قراءتي لها سيجعلني أتوحد مع قصة الرجل "بطل الرواية" المجازف الذي غامر بعد حلمه من أجل تحقيق ذاته، وبالتالي أعيش كما يعيش المشاهد الساذج دور بطولة يؤديه ممثل يقوم بدور بطل له حلم ويسعى وراء تحقيقه!

أوحت لها ظروفي المادية ووضعي الاجتماعي البسيط وكذلك مستواي التعليمي الجامعي بأني رجل سيبقى على هامش الحياة مجرد فقير لن يحدث الله فرقا في حياته ومستوى وعيه وتعليمه الاقتران به أمرٌ لا يدعو للفخر وفق المعايير الاجتماعية والاكاديمية اليمنية!

رد كريم: أحيانا يرفضك القبح لأنه لا يتفق مع غالب جمال روحك ونقائها، ويصرف عنك الله ما كنت تظن فيه خيرا تمسكت به بعواطفك دون وعي لكنه كان ينطوي على شر لك تجهله! المال في هذا الزمن وهذا الوطن أضحى وحده من يستطيع أن يقود المرء إلى المنزلة الأولى ولو كان تافها لا قيمة له.

استطرد كريم: غالبا يا صديقي برامج التنمية البشرية تؤول إلى تكوين إنسان مادي بحت وطامح سلبي مسلوب الروح والضمير يحضر الإيمان فيه كدافع ثانوي مثالي لا حقيقة له في قلبه ووعيه وسلوكه إنما الغاية والدافع شيء مختلف كأن ينجح ويحصل على المال والشهرة فحسب، ومعنى وجوده في كونه نجح في الحصول على منصب أو مال أو مكانة بغض النظر عن كيف حصل على أيٍ من ذلك.

ابتسم شرف قائلا: أوافقك الرأي، أغلب مفاهيم التنمية البشرية الموجودة في بلادنا ومنطقتنا تستمد تصوراتها ومفاهيمها من الفلسفة المادية الغربية ومن تصورات الفلسفات الشرقية المنحرفة.

حدق كريم في الأوراق المنثورة أمام شرف وقرأ كلمات جميلة مكتوبة بأسلوب إبداعي متميز كانت كالتالي: " كتابة الأحلام كعدم كتمانها لا يجعلك بمعزل عن مكر إخوة يوسف أو يعصمك من دفق كيدهم الخفي، لكن كتابتها أفضل طريقة كي تدخل مرحلة تحقيقها، نحن غالبا لا نحقق أحلامنا بأنفسنا ثمة أحلام يحققها غيرنا، ليس شرطا أن تحقق حلمك بنفسك إذا استطعت أن تبني أجيالا قادرة على تبني أحلامك وإقناعها بأن أحلامك هي أحلامها تكون قد صنعت منها يوسفا جديدا حين يلقي في بئر الموت يظل صامدا بإيمان وأمل، وحين يدخل بلاط المترفين وتراوده زليخاهم عن نفسه يفضل السجن على الفاحشة، وفيٌّ لا ينسى رسالته حتى وهو في قعر ظلماته بل ينير بها العقول ويفسر أحلام الآخرين ويفلسف رؤاهم ويصبح مؤهلا لحمل

المسؤولية بأمانة واقتدار ولديه مهارة عالية في التخطيط والقيادة، ويسامح من كادوا له بعد أن يكشف لهم حقيقة نفوسهم المريضة وسوء نواياهم وقصر نظرتهم وسذاجة تقديرهم لحقيقته الذاتية."

قال كريم: للتو قرأت كلاما جميلا أخي شرف، لكن لمن تكتب؟ لا يوجد من يقرأ ويفهم نحن شعب يعتقد أن القراءة ترف يمارسه الفارغون وأن الكتابة مهنة الفاشلين، شعب لا يريد أن ينتقل من المنجل إلى الكيبورد في زمن تطورت فيه آلات الحرث فلم يعد الإنسان يستخدم سوى أزرار تكنلوجية لإنجاز أكثر أعماله مشقة، وربما سيتمكن في المستقبل من نقل الأشياء والإنسان من مكان لآخر بطريقة تشبه نقل الذي أوتي علم من الكتاب لعرش الملكة الحكيمة بلقيس من أرض سبأ في اليمن حين طلب نبي الله سليمان ذلك من ملئه ففعل "الذي عنده علم من الكتاب" ذلك قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه!

رد شرف: ربما لن أجد القارئ المثالي الذي يبحث النص عن بنائه، ما أكتبه هي محاولة جادة للإسهام في بناء وعي الإنسان النهضوي الحضاري الذي يثق بعقيدته وقيمه، والقادر على التعاطي مع التحديات بعقل ذكي، الذي يعمل عقله بشكل صحيح ويؤدي مهمته وفقا لمتطلبات شروط النهضة والقوة والتمكين الذي نحلم به، القليل فقط من سيقرأ لي هذه القطعة الألماسية النادرة لكنها ستبقى أصيلة وستظل كلمة باقية ترفد وعي الأجيال بالأمل والطموح وتبني وجدانهم وأحلامهم بشكل سليم، إن الهدف من الكتابة هو توجيه الأجيال أيضا توجيها سليما نحو

أهداف وأحلام وغايات عظيمة وحقيقية وجادة، ترك ميراث فكري وأدبي أصيل موصول بمرجعيات الحق والخير والعدل ينهل منها المعاني والمفاهيم وينحتها في الذاكرة كي تصبح إحدى معززات حركة المسلم في أي زمان ومكان نحو القيام بدوره ووظيفة وجوده المركزية في الحياة.

سأل كريم: ما أفضل أنواع الكتابة برأيك؟

رد شرف: أرقى أنواع الكتابة تلك التي تحمل في طياتها أهدافا سامية ورسائل عميقة، يؤمن بها الكاتب ويريد إيصالها للعالم.

رد كريم: يقول الشاعر والفيلسوف نيتشه في الكتابة ألم ومعاناة وغيظ مكنون يفرج عنه.

فرد عليه صديقه لماذا نكتب يا عزيزي؟ رد نيتشه: لم أجد وسيلة أخرى أتخلص بها من أفكاري!

هل برأيك أخي شرف الكتابة أفضل طريقة للتخلص من الافكار أم ماذا يقصد؟

رد شرف: وصف الكاتب للفعل هو ممارسة أخرى له، ونشوة الكتابة عند الفعل تفوق في بعض الأحيان نشوة الفعل ذاته، أو لنقل إنها نشوة إضافية يقطفها الكاتب وحده، ولا توجد عند غيره حتى القارئ لا يمكنه الوصول إلى حالته تلك، كما أنها وسيلة عند بعضهم للتخلص من الأفكار المقلقة كما اعترف نيتشه مثلا.

بالنسبة لي ككاتب الكتابة هم ورسالة، وهي مع ذلك أفضل طريقة تمنحك الإحساس بالحياة، إنها أجمل فرشاة لتلوين قبح الحياة أحيانا، وهي الوسيلة الوحيدة أيضا لإثبات إنسانيتك أي بكونك مخلوق متميز فريد له غاية وهدف ومعنى حقيقي لوجوده، هل يستطيع برأيك مخلوق على وجه الكون أن يكتب مشاعره وأحلامه وتطلعاته كما يفعل الإنسان، إنها امتياز إنساني فريد أقسم الله بعظمته " نـــ، والقلم وما يسطرون" يضيف شرف: كما أن جمال الكتابة يكمن في منح الإنسان القدرة على إدراك المفاهيم المبهمة وقولبتها في إطار جامع يتيح لذوي الفكر والنظر المساهمة في إعادة صياغتها وفق مفهومهم الخاص.

يتغذى الوعي الإنساني من خلال القراءة، والتفكير السليم في الحياة منطلقهُ قراءة واعية، ينمو وعي الإنسان من خلال ثنائية المعرفة والعمل، العمل اختبار واقعي لمعارفنا إنه تجربة تمنحنا الخبرة مستقبلا، سوف تحتاج إلى مهارتين مهمتين برأيي: هما: القراءة المستمرة والانخراط في الواقع، القراءة تمدك بالرؤى النظرية والواقع اختبار لمبادئك التي تعلمتها، الواقع سيكون ضاغط لكن مجاهداتك الذاتية في مواجهة ضغط الواقع ستصنع منك إنسانا حقيقيا وناضج المعرفة والخبرة، الإنسان الملتصق بقيمه والقادر على امتلاك مفاتيح تغيير ذاته والناس، وكلما زادت خبرتك في الحياة تكاثف وعي إنسانيتك ونضجت رؤيتك ونفذت بصيرتك.

الإسلام لا يقول لك في مسألة التفكير "لا" أو "نعم" بل قال "اقرأ" وحين تقرأ تجد الإجابات على التساؤلات التي تواجهك.

الحياة مختبر كبير يكشف حقائق الأفكار وحامليها، الإنسان تنضجه المعاناة والتجارب أيضا وحين يمتلك المعرفة يجتاز كثيرا من المتاعب التي وقع فيها غيره لكن التجربة مهمة في حياة الإنسان كي ينضج، ثمة نضج لا تكفي المعرفة وحدها لتحقيقه، البعض إذ لم يمر بالتجارب يكون أشبه برغيف خبز نضجت مظاهره فيما بواطنه نيئة لا يمكن اكتشافها إلا عند أكلها، وحين ينضج المرء معرفيا وبالمعانة يصبح حكيما قادرا على مد الأجيال بنور حكمته وخبرته، كما يمتلك مهارة إتقان مواجهة الأشياء بأضدادها وهو ما عبر عنه الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- حين قال "نفر من أقدار الله إلى الله أقدار الله" فالخير والشر قدران ضدان والنور والظلام، واليأس والأمل، والكفر. والايمان "إن إعادة تسمية المسميات وإعادة بناء معاني الكلمات على ضوء خبرات الشخص وتجاربه وقناعاته وظروفه هما الشريان الذي يغذي العالم الداخلي للإنسان؛ هما بمثابة شريان الحياة للفرد والمجتمع. "

-لماذا تختار الحديث عن قضايا كبرى فيما تكتبت لماذا تستهويك الكتابة عما لا يمكن تحقيقه إلا بشق الأنفس، لماذا تطلعاتك أكبر من مستوى إمكاناتك الذاتية كرجل بسيط لا يملك حق القرار في العمل نحو أهداف كبرى ؟

رد شرف: صحيح إنني لا أملك إلا القلم، والقلم هو أداتي الوحيدة ككاتب بسيط، إنني مسؤول عن قرار الكتابة فحسب، والكتابة بحد ذاتها قرار مصيري لطالما غير مجرى حركة التاريخ الإنساني وقوض عروشا ودولا وأعاد صياغة الواقع والعلاقات والأفكار بطريقة مختلفة وأكثر نفعا للناس، أن تكتب هي مسألة ليست من السهولة بمكان، إن الكتابة سلاح ينطوي على خطورة بالغة حين يجيد المرء وعي ما الذي عليه أن يكتب بخصوصه.

لكن الأفكار العظيمة يا صديقي غالبا ما انهزم حملتها وإن انتصرت بعد رحيلهم فهو انتصار متأخر-قال كريم-!

رد شرف: الهزيمة للرجال الشجعان أما الجبناء فإنهم لا يخوضون المعارك، إن كل معركة يسبقها صراع أفكار ورؤى، والفكر هو الأسبق في صناعة لغة المواجهة وسيظل أخطر أسلحة الحروب التي تخاض دون رصاص ودماء!

قال كريم: أتمنى يوما أن أقرأ لك رواية يا صديقي، أنت تكتب بطريقة لا تخلو من دفق عذب، أنت منبع نهر لا يتوقف عن الدفق والجريان، صوته موسيقى، ثمة وضوح فيما تكتب، الفكرة في قلمك تتحول إلى ضوء شمس انعكس على قطعة ألماس نادرة فازدادت بريقا وألقا، وأخذت ترسل وميضها في كل الاتجاهات بإدهاش بديع.

هز شرف رأسه مبتسما: بإذن الله، ثم أردف: القلم، الكتاب، الميكرفون، الكاميرا، المسرح أسلحة خطيرة إما أن تفتك بالمجتمع أو ترتقي به وينبغي التعامل معها بأمانة وحذر ومسؤولية.

يبدو أن في حوارات شرف وكريم نوعا من التكرار لكنه التكرار الذي ينوع أساليبه وتساؤلاته ويبتكر معان جديدة ويزيد في توضيح الرؤية، هذه ميزة فعالة لترسيخ الأفكار وتأصيل المفاهيم، ففي النهاية الكاتب والمفكر إنسان يطرح رؤى مثالية قد لا يعيشها واقعا إلا ما ندر، وهو في دأب مستمر من أجل بناء وعي مجتمعي يؤمن بما يطرحه ويمتثله في حياته الواقعية كي يتمكنا-الكاتب والمجتمع- من الارتقاء في مستوى الشعور والوعي والواقع أي عيش الأفكار في حالة اقتراب من مثاليتها الجميلة، لكن المجتمعات المتخلفة في نظرتها للمثقف والثقافة والفكر لا تدعم قدرة الكاتب في أن يعيش حياة أفضل لأن الجهل يؤدي إلى تضخم في وعيها الأناني، والأنانية لا تستطيع أن ترتقي بالمجموع نحو آفاق حياتية أفضل، فالفشل كامن في كل فكرة أنانية، لهذا يجاهد الكاتب ويجتهد في محاولات مستمرة لرفع مستوى وعي مجتمعه كي يعنيه على مغادرة مربع التخلف، ليتمكن من أن يعيش معه الحلم والإنجاز واقعا، ومجتمعاتنا تحلم بالتأكيد لكنها مصابة أيضاً برداءة أحلامها فهي أحلام متدنية المستوى ولهذا فواقعها يطابق حقيقة أحلامها هذه، ولأن الكاتب شخص أصيل في طبيعة تفكيره ووعيه استطاع بناء وعي حقيقي وحلم عالي الجودة والمستوى لذاته كخيار

حرٍ واعٍ يتسم بالنضج والرفعة يحاول قدر الإمكان أن يشحذ قلمه كي يشحن وعي المجتمع بالأحلام عالية الجودة والمستوى ويدعوه باستمرار من خلال الفكر والكلمة إلى أهمية وضرورة تجويد وتحسين نوعية أحلامه والارتقاء بمطالبه وتطلعاته ونظمها في سياق وعي جمعي وحلم جماعي مشترك كي يتعاون ويترابط ويتكاتف حتى ينهض من تخلفه، كما أن التعليم لا يحتل مركزية أساسية في ذهن صناع القرار ومن يديرون الدولة وإن وجد تعليم فهو متدنٍ في مناهجه وفلسفته التعليمية ووجود عملية تعليمية متقدمة أمر لازم لإخراج المجتمع من الجهل الأبجدي والمعرفي، وسيظل الجهل دوما مصدر الأحلام الرديئة والغايات الأنانية والأفكار الخرافية المدمرة، لهذا كان بداية الوحي على نبينا الأمي الكريم -صلى الله عليه وسلم - هي "اقرأ" لقد وُضِع في اللحظة الأولى من تلقيه الوحي في مواجهة الجهل.

في مقهى يتمتع بذوق رفيع في إعداد القهوة والشاي في إحدى حدائق المدينة التقي شرف وكريم دون موعد كان لقاء قدريا، قال كريم اليوم كنت أقرا كتابا يتحدث عن معضلة التنمية الاستعمارية ووجدت أنه ليس للاستعمار فضيلة حصرية يمكنه التشدق بها، الاستعمار لم يؤدِ دورا إيجابيا مطلقا في وعي وحياة الشعوب التي استعمرها ومنها بالطبع منطقتنا العربية والإسلامية فقد استغل مواردهم وقتل الكثير وقطع تطور الآخرين ذاتيا؛ أي انطلاقا من وعيهم الذاتي ومن صميم هويتهم وأبقى الشعوب متخلفة، رد شرف: هذا كان قديما لكن الاستعمار اليوم

لم يعد كما كان سابقا فالاستعمار الجديد يريدنا أن نتقدم بعض الشيء ونكون نصف منتجين ونصف مستهلكين نأكل ماكدونالدز ونشرب الكوكاكولا؛ لأنه لو بقينا متخلفين من وجهة نظره فلن نشتري حاسبا ولن نستهلك بنطلونات الجينز ولن نأكل الهامبورجر كما يقول المفكر -عبد الوهب المسيري- لذلك المطلوب بعض التقدم مع كثير من الانسلاخ عن الهوية والذات، يضيف شرف: إن تنمية النزعة الاستهلاكية في بلادنا ومنطقتنا العربية والإسلامية من وسائل الامبريالية الحديثة لتمكين مصالحها وتعطيل نمونا وتحضرنا وقدرتنا على الاستقلال وبناء القوة والنهضة، مجتمعاتنا لا يمكنها أن تنهض خارج سياق دينها وهويتها حتى وإن استعارت هويات أخرى لن تفلح بل تزداد عجزا لأنها ليست من صميم طبيعتها.

طلب شرف من عامل المقهى لكريم كأس شاي ثم قال له أنت لديك ميل رائع لتحسين أدائك في النقاشات وتشكيل حصيلة من المهارة الجدلية من خلال الانخراط الواعي في نقاش حر مع أشخاص ملهمين لديهم معرفة وخبرة في الحياة بقصد تطوير مهاراتك الذاتية وقدراتك المعرفية وملكاتك العقلية، الوعي الحقيقي القادر على النفاذ إلى صلب الحقائق ومعرفة الأفكار وأصولها ومنابعها وقدرتها على التلون في مسعى يهدف إلى اختراق بنية الوعي بغية تأثيثه هذا الوعي الذكي هو حصيلة القراءة المستمرة والتراكم المعرفي إنه يشكل نفيا مستمرا لأحادية الرأي وتشكيل الإنسان ذي البعد الواحد أو محاولة تحويل دماغه إلى

مجرد برميل قمامة فكرية يختزن قيء ما يقذفه الإعلام ووسائل التواصل الحديثة من أخبار ورسائل ومعاني زائفة.

رد كريم: لكن أحيانا تعاملني الحياة بلؤم حين أتعمق في إدراك حقائق ما فيها وكأن ثمن فهمها أن أعاني قليلا، لقد خسرت كثيرا من الناس والأصدقاء والمعارف لا لشيء إلا لأني صادق -غالبا وأعجز عن تمثيل دور لا يتفق مع ما أنا عليه ومع ما أؤمن به.

رد شرف: ستكون بخير حين تدرك أن الحياة هكذا، وأنها لا تخلو من الأضداد وستكون بخير أيضا حين لا تتوقع الكثير من أحد، وبما أنك -يا صديقي- تفكر بشكل جيد عليك أن تمارس -أيضا نوعا من الترويض العقلي ونوع من السيطرة على أفكارك وحسن توجيهها، كأن تمارس الكتابة أكثر من الكلام غالبا "انشئ مكتبة ولو من ثلاث كتب وستقاوم جزءا من قبح هذا العالم الجاهل، كل مكتبة هي صفعة في وجه العالم الجاهل وترفُع عن أميته وخفته "كما يقول بورخيس، انغمس في القراءة وسوف تسعى إليك الأسئلة الحائرة لتبحث عن إجابات منك لها.

ثم عليك -يا صديقي- أن تتحقق بحسن الاستقامة وصدقها نحن غالبا نكون ضعفاء في الواقع لأننا ضعفنا أمام نزوات نفوسنا، وكل هزيمة أمام نزوات النفس تشكل هزيمة أمام الواقع والناس، كل مرة تعصي فيها هواك خشية مقام الله وابتغاء مرضاته روحك تزداد وترتفع والعكس يسبب الانهزام الداخلي والانحطاط، الاستقامة الحقة توفر

الضمانات القادرة على جعلنا أقوياء لا تؤثر فينا تساقطات المغرضين، وكل مرة تقرر فيها أن تكون أقوى من رغباتك ونزواتك وضعفك يختلف بعدها كل شيء مستقبلا ستقاوم أكثر وستنجح أكثر وستكون النتائج بإذن الله أسهل.

أتدري أخي كريم: لقد عشت وحيدا في أغلب مراحل حياتي وكما كانت الوحدة مؤلمة لكنها كانت -أيضا- فرصة لأن يكون المرء مع ربه، تأملت فيها وخرجت بخلاصات تتسم بالحكمة ربما، ثم وجدت في بعض من كنت أحسبهم صالحين لا يخلون من نفسية الحرباء، وأيقنت أن الرزق مكتوب ومقسوم، لم يصبني يوما اليأس ولم أسمح له الحفر في أسس إيماني وتصوراتي ونفسي، وبقدر ما كنت مهموما بقضايا أمتي وديني كنت أيضا مهموما بالحصول على قدر جيد من الحصول على حياة إنسانية سوية تمنحني القدرة على العيش وفق قيم ومبادئ ديني وتعفني من الحاجة إلى الناس أو الانجرار نحو ما لا يرضاه الله ورسوله، ولم أفشل يوما في أعماقي بقدر ما كان يعيقني واقع وطني متخلف جدا وأناني محكوم بشروط قاسية وغير عادلة أو أخلاقية، وربما كنت على خطأٍ فيما كنت أظنه أن تكون مثقفا وكاتبا لن تجد من يحتفي بك ويتقبل فكرة إنصافك، بل إن هناك من لديه رغبة في أن لا تفعل ما ينفعك والآخرين، ولقد تعلمت أن أواجه أنانيتي بأسلوب لطيف يحاورها ويكسر حدتها بهدوء، لتتقبل فكرة أن كل شيء مقدر وأن ما يملكه الإنسان لن يأخذه إلى قبره في النهاية وسيدعه خلفه، وأن

الأصل هو أن يبذل ويقدم للآخرين هنا ما ينفع به نفسه في الآخرة وتلك هي أسمى أشكال الأنانية.

ولطالما امتلكت قناعة قوية ترفض مقارنتي بأحد، فضلت البساطة والتلقائية ووعيت جيدا أن ما في الحياة لن يدوم كثيرا ولن يحيا بعد الإنسان سوى الذكر الطيب والأثر الجميل، ولن يلقى عند الله سوى ما قدمه خالصا لوجهه.

قراءة محكي ما معناه ممارسة لعبة نتعلم من خلالها أن نعطي معنى للأحداث الهائلة التي وقعت أو ستقع في العالم الواقعي وللأفعال التي سنقوم بها، والكتابة سرد للحلم أي للمستقبل الذي نريده كما في مخيلتنا، قد لا يتحقق المستقبل على النحو الذي نتخيله لكن إرادة إنجازه اتخذت على الأرجح شكلا سردياً لكلمات تصوره، ليس كل جملة هي صحيحة في العالم الواقعي، والحقائق أحيانا لا توجد كما هي، اللغة بإمكانها أن تضمر الحقيقة وبإمكانها أن تظهرها.

سيأتي زمن تصبح فيه الكتابة عملا غير ممكن القيام به، كما لو أن البشرية وصلت إلى مرحلة قول كل شيء وبكل الأساليب، إن كل ما يكتب الآن هو تكرار لكل ما قد قيل وكُتِب، الكُتّاب يُعيدون كتابة أفكار أسلافهم بشكل مختلف، بمعنى أنه لم تعد ثمة أفكار جديدة يمكن الإتيان بها تماما كما هي حروف لغتنا لا يمكن زيادة حرف جديد إليها، وكما لا يمكن الزيادة في حروف اللغة لم يعد الوعي الإنساني قادرا على ابتكار الأفكار الجديدة المكتوبة بحروف اللغة التي نتحدث بها وكأن

الأمر يتطلب بحثا عن لغة جديدة أو ابتكار حروف جديدة للغة تُقال وتُكتب بها أفكار جديدة.

رد كريم: الحياة الإنسانية مستمرة ومع استمرارها يولد الجديد على كل المستويات؟

رد شرف: بالتأكيد سيستمر الناس في الكتابة وكل عصر سيتخذ الناس فيه أسلوبا مختلفا للتعبير عنه لكن أغلب تجارب الناس متشابهة وقضاياهم كذلك في المستقبل هي ذات قضايا أسلافهم في الماضي وتساؤلاتهم هي ذات التساؤلات وإن اختلفت الإجابات عنها وطرق التعبير، لكنها ذات الإجابات فقط هناك صيغ جديدة لقول ما لديهم، وهناك تكرار في وعي المعاني، صحيح أن وسائلهم المادية تتطور لكن ثمة أفكار كثيرة سيكررون قولها وكتابتها بشكل مختلف وبالذات حروف لغاتهم المتنوعة، الكتابة أيضا إحساس خاص تجاه تجارب إنسانية خاصة، الإبداع ابتكار وتأليف لا تكرار!

رد كريم: لكن القدرة على إعادة صياغة المقولات والأفكار بشكل أفضل ميزة إبداعية وابتكار جديد كمن يعيد صياغة خاتم ذهب صيغ بشكل غير جيد إلى شكل فني وإبداعي أجمل، كما أن الإبداع تأثير وتأثر، وغالبا هو استكمال مستمر لما بقي ناقصا!

إن ما يهم في الكتابة ليس تكرار ما قاله غيرنا أو توسيعه ومن ثم شرحه، بل إن ما يهم غالبا هو الانطلاق من مضمون الاشكالات التي

توقف عندها الآخرون ومحاولة مقاربتها بشكل يميزنا ويضمن خروجنا كما يقول "جيل دولوز".

الكتابة ضعف برأيي، حين لا يجد الانسان الضعيف القوة ليواجه ويخجله العجز والبكاء يتخذ الكتابة وسيلة للتظاهر بالقوة –قال كريم-.

رد شرف: الكتابة -يا صديقي- أحد مظاهر القوة، القادرون على الكتابة قادرون على التفكير وبناء القوة لأنها صيغة حرب عقلية تصنع الواقع، كما أنها تفتح الطريق أمام الإنسان ليصنع ذاته وواقعه ومستقبله بشكل أفضل، أينما وجدت الكتابة وجدت المعرفة والحضارة ومتطلبات النهضة، ينطلق الحلم من أسنة الأقلام كسرب نوارس مهاجرة في السماء نحو وطن جديد تعيد بناءه كي تضمن مستقبل أجيالها وسلامة نموهم وأمنهم فيه، وحدها الكتابة هي التي شقت مسار نهضة كل أمة وبنت قوتها وهي أخطر أشكال أسلحة الإنسان في مواجه عدوه.

رد كريم: أرواحنا مليئة بدوافع الحلم، غاياتنا عظيمة وممكنة التحقق، والتأريخ يؤكد أننا قادرون على الحضور بقوة إلى مسرحه، والكتابة أبرز أدوات تحقيق هذا الحضور.

رد شرف: نحتاج إلى القوة أيضا كي تصبح أحلامنا واقعا، والنهضة أيضا مطلب يتوقف على جودة أحلامنا وجديتها وكل جذورها عملية تعليمية حقيقية تتمكن من بناء العقل وتجويد نوعية الحلم الفردي والجمعي.

كريم يجيد تنويع تساؤلاته وشرف يجيد الإجابة عنها بإسهاب، قال كريم دعنا قليلا من الأفكار الجادة يا صديقي، قل لي يا شرف: هل حدث أن أحببت يوما؟

رد شرف: بالتأكيد لا شيء أجمل من الحب خصوصا حين ينطوي على رغبة أكيد في العفاف، أن تملك امرأة تتمتع بالعفة والجمال وحسن الاستقامة ومهارة إدارة شئون البيت فهذا يعني أنك حصلت على أثمن نصف ما يحتاجه الإنسان في حياته كي يكون أفضل، وسيظل اسمك عاديا حتى تجد تلك المحبة المخلصة التي تلفظه بطريقة تجعلك تظن أنك وحدك من سُمي بهذا الاسم.

-بماذا تشعر حين يخالجك الإحساس بانك محب ومحبوب؟

رد شرف: أشعر بالحياة حقا، لكن الحب لما يعد كما كان من قبل أضحى مشروط بمطالب تتجاوز شعور الإنسان بذاته لم يعد الحب في هذا الزمن مشروطا بالحب ذاته وبالقيم الأخلاقية كالصدق والشجاعة والمروءة والرحمة والوفاء والاخلاص وحسن الاستقامة قبل ذلك، بقدر ما هو أكثر ارتباطا بخيارات مادية ومطالب تافهة لا شأن لها بعاطفة الإنسان، فالسوبرمان في هذا العصر بالنسبة للمرأة هو من يمتلك سوبر ماركت مثلا!

كيف هل يمكنك أن تفسير ذلك –سأل كريم-؟

حسنا يا صديقي سأذكر لك قصة حب عشتها ربما أحببت فعلا لكنها لم تكن تشعر بي لم تكن مشاعرها مرتبطة بمطلب عاطفي بقدر ما كانت مرتبطة بمطلب مادي ومكانة ندية لوضعها الاجتماعي، كان ذلك منذ زمن بعيد حين كانت رسائل الحب تكتب على ورق كان للحب مذاق جميل رغم قسوة المحبوب، جربت ذلك في منطقتي التي عشت فيها وفي مدرستي الابتدائية والإعدادية حين كنت أحب إحداهن رغم أنها لم تكن تتمتع بمظهر جمالي وصوت جميل لكني أحببتها وكنت أنقش بقلمي على طاولتها قلبا بعد أن يكون قد ذهب الجميع أظل أحفر في طاولتها كصائغ ذهب يتفنن قدر الإمكان في نقش مصنوعه، ثم أرسم سهما يخترقه وأكتب كلمات الحب بتعبير جيد، اثم أكتب أول حرف من حروف اسمها باللغة الانجليزية وأنقش أول حرف من حروف اسمي وحين كانت تأتي في اليوم التالي وتجلس على كرسيها كالمعتاد بعد أن يدخل الطلاب الفصل أرقب تعابير وجهها السنجابي وقلبي يدق كعقارب ساعة "بيج بن" ومذيعها يعلن وقت اقتراب بث أهم أخبار العالم، كانت تنظر بهدوء ثري بالصمت وتنظر إليَ فتصطدم عيناي الضاحكة بعينيها التي تشبه عيون سنجاب بريء كانت الأقل جمالا من عيني صديقتها السمينة.

يرد كريم ضاحكا: لماذا لم تخبرها بشكل مباشر؟

رد شرف: لم أكن وقتها يا صديقي أمتلك القدرة على البوح لأن الفقراء لا يحق لهم الاقتراب من بنات الأغنياء وإن كانوا ذوي قربى،

يكفيهم الحب الصامت وأن يحظوا بنظرات وادعة من بعيد، ثم يمضون في طريقهم كنسيم فجر حر لا وطن له، ولا أنف قلب جميل يحظى باستنشاق رائحة روحه المنعشة المعتقة بأحلام كبيرة وأخرى تفوق الخيال.

كنت كلما أردت أن أقول لها "أحبك" يلجمني الصمت وتبدأ واقعية الحال البائس تمثل أمامي وأبدو ضعيفا لا أقوى على نطق كلمة من أربعة أحرف لكنها تختزن كل مشاعر الحنين ولواعج العشق، كان بيني وبينها اختلاف المسافات والعوالم فأنا من طبقة اجتماعية فقيرة وابن رجل فقد بداية الثمانيات من القرن الماضي حين ذهب جنوب الوطن مع شلة تخريبية كانت تسمي نفسها "الجبهة الوطنية" وتتبنى رؤى الفلسفة الماركسية كخط نضال فكري وقتالي ومنهج حياة في نبذ بشع لكل ما يمت إلى الاسلام وقيم شعبنا بصلة، بل كانت ترى أن هدم الإسلام هو الطريق للتقدم ولهذا اتسمت بنفس استئصالي فشل في تحقيق أهدافه ومات كفكر وفلسفة لا يمت إلى الحقيقة الإنسانية ذاتها بصلة، وكنت أشبه بيتيم يتصدق عليه والدها ببذلة بائسة كل عام من العيد إلى العيد، وحين كنا في الصف الثاني الإعدادي تقريبا بدأ ابن أحد المغتربين في أمريكا يداعب وجدانها المادي فأعطاها علكة أمريكية الصنع والمذاق استطاعت تلك العلكة أن تفتح فمها أولا ثم قلبها لتفتح له فيما بعد أقفال خزائن قلبها الصدئ، تصور كيف يمكنك أن تقترن بفتاة مفتاح قلبها علكة أمريكية؟! بداية رخيصة جدا فعلى الأقل الجانب

العاطفي في المرأة تفصح عنه رائحة العطر ولون الورد وكلمات الغرام، وليس مطلب الفم أولا، لكنها كانت تتسم بنوع من الغباء لطالما عملت على حل واجباتها المدرسية كي أضمن انتقالها معي من صف إلى صف، لم تكن تفهم لغة القلوب والمشاعر وكان الشاعر من يحرك فمها وليس قلبها، كانت مجرد علكة يمكن لأي باذخ أن يعتلكها فيما لو أسمعها مشاعر جيبه، لم تكن تدرك أن الفقراء رغم ضعفهم أقوياء، مررت يا صديقي بعد زواجها بلحظات انكسار عاطفي هادئ لمست بعد ذلك ذاتي وقررت إخراجها من قلب ذاكرتي والبحث عن أحلامي التي علمتني الحالمة بصيد النجوم "والدتي" أن أكافح من أجلها، قالت لي مرة أن العظمة في الإنسان ليس فيما يملكه بل فيما يعمله وينفقه من خير وفيما يحلم به ويفكر وفي استقامة ذاته وحياة ضميره وسلامة مسلكه، ثم أضافت وهي تنظر إليَّ بعيني محارب شجاع: "يا بني حتى آخر رمق من عمرك حافظ على إنسانتيك وغادر الحياة وأنت نبيل "وصدقت أمي فأعظم ثبات في هذا الزمن هو أن تُبقي روحك حية وأن لا تكون نصف ميت وأن تبقى في كامل وعيك ولا تنجرف خلف هذا الانحطاط، وألا تبرر للجريمة أو تقف محايدا بين الحق والباطل والأهم ألا يتطابق الخير والشر، العدل والظلم لديك فتصبح أعمى، إن التأقلم مع أي وضع باطل ومختل أضحى مهارة في هذا الزمن على المرء أن يتقنها، إن السذاجة والغباء أيضا أضحيا في مفهوم الكثير في رفض هذا

التأقلم، ليس ذكيا من لا يستطيع العيش كيفما اتفق ويتقبل فكرة وجود الظلم والتعايش مع لغته ومفرداته وسلوك ذويه اليومي.

-كيف استطعت أن تقاوم هذا الانكسار العاطفي، العواطف عادة ما تكون خطيرة على الإنسان حين ينكسر؟

رد شرف: ما جعلني أكثر مقاومة هو أنني مررت بفترات أكثر مرارة وظننت أنها لن تمضي ومضت، وأيضا لم أسع للانتصار على أحد بقدر ما كنت أجتهد في التغلب على نفسي، لقد آمنت بالمنطق القرآني القائل " قل هو من عند أنفسكم" فالانتصار على النفس كفيل بأن يجعلك تنتصر على الواقع ولكي تنتصر على نفسك كن كما أراد منك ربك أن تكون، ولكي تعيش واقعا أجمل يا صديقي عليك أن تدرك بأن كل ما مر في الماضي هو مجرد درس وليس خيبات تحملها على عاتق حاضرك، وما كنت لأصل إلى هذه المرحلة من الإدراك والوعي لولا مطارق الحياة الساحقة، لذلك أنا دائما وأبدا ممتن للتجارب.

والحياة صناعة أحلام جديدة كلما ماتت أحلامنا القديمة، ولطالما قلت لنفسي ليس من العدل أن تقيس حالتك بعدد الأشياء الجميلة التي حصلت عليها، أنظر أيضا إلى الأشياء السيئة التي لم تصب بها وتلك المصائب التي وقعت لغيرك وجنبك الله إياها، كن منصفا مع نفسك، وكن حامدا له نعمه من خير منحك وشر صرفه عنك.

-البعض تثق فيه فتذهب لتخبره أن الجميع خذلك وأنك أصبحت لا تثق بالجميع إلا هو، لكنه يخذلك قبل أن تخبره –قال كريم-

رد شرف: الناس لن يكونوا كاملين أبدا، الأرض ليست كالجنة نحن من هذه الطبيعة المشوبة بالنقصان والمحكومة بقانون العطب والفناء، والنظر إلى الحياة بشكل مثالي يفقدك مزايا فهم الواقع، الحياة لن تكون يوما وفقا لما تريده، والناس لن يصلوا يوما إلى الكمال هم بشر وعليك التعامل معهم بذكاء لا تبالغ في الثقة بهم ولا تبالغ في الحذر منهم، وظن بهم دائما خيرا لكن دون أن تغفل عن حقيقة أنهم بشر مثلك مع ملاحظة التغييرات التي قد تطرأ عليهم وتوقعها، كما لا يجب أن تنظر أنت أيضا إلى نفسك بمثالية فأنت مثلهم وستقع في فخ التناقض بين مثال تريد أن تكونه وغرائز نفس وواقع يحول دون ذلك، والأمر منوط بعد استعانتك بالله بقدرتك على التزام خط الاستقامة، والإنسان الذي يبدأ يومه بالذكر والدعاء لنفسه وأهله وأقاربه وأصدقائه بالصحة والعافية والرزق والصبر يحمي نفسه ويحاصر مخالفته لسنن الله في الحياة، فالمعصية والانحراف واكتناز مشاعر الحسد والحقد والكراهية والغيبة والنميمة هي أمور تصنع اختلالا أكيدا في النفس وتناقض سنن الله المبثوثة في الحياة، وسنن الله غلابه" وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا "، ثم إن هناك من يتعرض لنفس ما تعرضت له، لكنه يتخطاه.. يستكمل حياته وكأن شيئا لم يكن، اليأس، الحزن، والإحباط، الشعور بالخذلان، لا تختلف هذه المشاعر كثيرا بين الناس

لكن تختلف في طريقة استقبال كل شخص لها وردة فعله تجاهها "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" وكلما خالطت الناس ستعرف صورا غير مألوفة للأذى وأن استحقاق الثقة والاحترام أمور أصعب من منحها، وأن البشر تتبدل أهواؤهم كما يتبدل الليل بالنهار وكلما عرفتهم وتجاوزت سلبياتهم عرفت نفسك أكثر.

يضيف شرف: ثم أنصحك -يا صديقي- بالمداومة على الصلاة والمحافظة عليها إنها أنفذ وسائل صناعة القوة في النفس، إنها كما يقول سيد قطب -رحمه الله-: " صلة ولقاء بين العبد وربه، صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زادا أنفس من أعراض الحياة الدنيا، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا حز به أمر فرغ إلى الصلاة وهو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحي والإلهام، ولا يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادا للطريق، وريا في الهجير، ومددا حين ينقطع المدد، ورصيدا حين ينفذ الرصيد ".

رد كريم: تعلمت منك يا صديقي كثيرا، كما تعلمت ألا أستسلم وأن الأهم أن تنهض كلما حاول الزمن إرغامك على الخضوع!

لا تستسلم، لا تجعل خيار الخسارة واحدا من احتمالاتك، لا تدع قناعاتك تهتز للحظة، تمسك بما أنت أهلا له - رد شرف – "التحديات جزء من رحلة الحياة، وكلما كبرت الطموحات تعاظمت التحديات.

فالإرادة تصنع المستحيل، والثقة بالنفس تجعل المستحيل ممكناً، لذلك.. لا تسمح لليأس أن يتسلل إلى نفسك.

أسهب شرف كالمعتاد: حين تغدو بنا الآمال نحو أفق ممتد لا نهاية له يا صديقي، يتسع المدى كلما آمنا بحقيقة أن الله معنا وأن بَذلنا بشرف في أن نكون أفضل، وقادرون على الاحتفاظ بقيمنا في تدافع الحياة وأن نتجاوز ذواتنا باتجاه تحقيق المطلب الجمعي المتمثل في إيجاد حياة طيبة للكل هو أمرٌ تلزمنا به قيمنا ومبادؤنا، ما هي الكتابة يا صديقي لو لم يكن الهدف منها خدمة حقيقة نبيلة وغاية عظيمة وحث مستمر على فضيلة الحرية والإخاء والتراحم والتكاتف والتعاون من أجل بناء غدٍ أفضل وتحقيق حلم قديم يتجدد مع كل جيل يولد لم يتحقق له مما حلم به أسلافه شيئا، لهذا يا صديقي سنظل نكتب، الكتابة حفر مستمر في الوعي نحت لصورة المستقبل في الذهن وإذا نجحنا في نحت هذه الصورة في الأذهان سنشكل لدى شعوبنا صورة واضحة تدفعها لتحقيقها، إن كل صورة صحيحة واضحة راسخة في أذهان شعوبنا تغدو حلما يدفعها إلى الأمام، وكلماتنا لن تموت إنها مستمرة كالحياة، متدفقة كالنهر العذب تصل إلى كل جيل بعد جيل وتصبح لكل جيل رؤى المستقبل تسهم في تشكيل حلمه وتخلق دوافع طموحه وسعيه.

يمكن للمرء أن يعتمد على عقله، لكن العقل لا يكفي لفهم الحقيقة، إذا كان إدراكنا للحقيقة يتطلب عقلا يعيها، فإن العقل أيضاً يمكنه أن يُخدع، يمكنه أن يؤمن بحقائق زائفة وفق تلاعب منطقي يغريه بالولوج

نحو متاهات ليست محببة، يمكنه أن يصنع من أمهر صناع التقنية بغلا بالغ التعقيد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، كما يمكنه تقبل الصور العاطفية الزائفة بسهولة، إنه أحد مفاتيح الولوج إلى عواطف الإنسان وخداعه، لقد كان قوم ثمود ينحتون من الجبال بيوتا فارهين، كانت لديهم تقنية عالية المستوى في نحت الجبال لكن العقول كانت ضالة، "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " هذا الوعي العقلي لم يقدهم إلى وعي حقيقة وحدانية الله لقد استمروا في ضلال الشرك والانحراف، ومالم يكن القلب صافيا طاهرا فلا يمكن أن يكون الوعي بصيرا كاملا، لهذا كان الإنسان المسلم مسددا بالوحي لديه إجابات حقيقية لتساؤلات عقلية ولديه وعي كامل بغايته ومصيره وإنسانيته وكرامته، إنه يشق مساراته نحو المستقبل متسلحا بالحقيقة النافعة للإنسان، وبقدر ما هو مطالب بأن يبلغ رسالته هو مطالب أيضا بأن يمتلك القوة اللازمة لحمايتها وتأمين استمرارية وجودها وكسر كل قوة ترفض وصولها إلى الناس من خلال تعبير حملتها عنها بالكلمة، ونحن المسلمون نؤمن جيدا أنه لا يمكن أن يتحقق وجودنا بشكل أفضل إلا بوجود الآخر، لا نقصي أحدا ولا نستأصل وجوده ما لم يستوعب جيدا أن وجوده يتطلب وجودنا أحرارا كرماء أيضا.

وسر معركة الحياة في "طاعة الله" أولا وأخيرا، وتفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى ليهدينا السبيل ويمهد لنا الأمور ويكنس العتاة من أمامنا

كما فعل بكل من تصدوا لنبيه ودعوته وصحابته الكرام وكل الدعاة إلى الحق على مر التأريخ.

نحن نحتاج إلى تجديد الوعي بديننا لكن رغم أن قدرا من الوعي موجود هذا لم يشكل فارقا بالنسبة لأمتنا -قال كريم –

رد شرف: ما لم يرتبط الوعي بالإيمان فإنه يظل ترفا معرفياً غير قادر على توليد دوافع العمل والمواجهة والبناء، يفشل دائما من لم يتمكن من تخليق مسارات حركية للمواجهة، وتفشل الأمم إن هي لم تحسن اختيار من يمكنه تخليق هذه المسارات ليقودها.

قال كريم: الأحلام تبقى أحلاما ما لم تعمل من أجل تحويلها إلى واقع تحياه، والمفكرون والكتاب مجرد أناس يخوضون معركتهم الخاصة في هذه الحياة بصمت على مساحات الأوراق البيضاء في كفاح دائم كي لا يصبحوا مجرد نسخ باهتة من ذلك الواقع الذي يرفضونه والذي يقاتلون صوره التي تحاول التسلل إلى أعماقهم كي يستسلموا لحقيقة منطقه المتخلف ويتعايشون مع زيفه.

رد شرف: يقول المؤسس الأول "أحلام اليوم حقائق الغد" وجود الأحلام بحد ذاته يبعث الأمل بأننا سنتغير وسنصل يوما إلى أبعد مكان مما نحن فيه الآن، من الصعب تحديد ما هو مستحيل، لأن ما كان بالأمس حلما أصبح اليوم أملاً، وما كان في ذهن البعض محالاً أضحى ممكناً، وغدا واقعاً، بشائر النصر تومض من بعيد والذين

يعيشون بوعي مع كتاب الله الكريم يرونها بوضوح، كل ليل يعقبه فجر جديد في دورة حياة هذه الأرض يبشر بالأجمل "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ".

نبذة عن الكاتب:

رداد السلامي.. كاتب وصحفي يمني من مواليد ١٩٨٠م - الضالع– اليمن، بكالوريوس صحافة - جامعة صنعاء -كلية الإعلام.

-مؤلف كتاب: مسمار في جدار الذاكرة.

-يقول عنه الكاتب صالح اليافعي في منتدى "قبيلة يافع" الأدبي مرحبا به: "قدم إلينا من هناك؛ من أطراف الزمن ضيفٌ أنيقٌ للحرف، قد تقوده ذات يوم أناقة كلماته وسيف حروفه إلى مشنقة الحتف، ضيفنا في منتديات قبيلة يافع، كاتب وصحفي يغار من حروفه الكبار، يكتب بروح الأمل، يضع النقاط بقوة الإبداع، كاتب أعاد للكتابة رونقها الجميل، رغم صغر سنه؛ إلا انه تفوق على أساتذته".

-فيما قالت الأديبة الليبية "مريم جمعة عبد الله" في منتدى "إملاءات المطر الأدبي": مجبول على النبل أنت يا رداد، لا أقرأ لك شيئا إلا وتجلت سحابة بيضاء، تتحرى المطر، وإن لم تستطع استحالت ظلا يمنح الأرض فسحة من سكينة".

-قال أحدُ الكتاب العرب معجبا بكتاباته عام ٢٠٠٧م: "حين كان يعري ممارسات النظام السابق: "رداد السلامي كاتب قوي جدا، وهو أحد الكتاب القلائل الذين يمتلكون قلما قويا وأنيقا وعميقا في ذات الوقت، وكثيرا ما قرأت وأعجبت بغزارة تفكيره، لا أستطيع الآن الإسهاب، ولكن يكفي أن هذا الكاتب

واحد من الذين آثاروا في اليمن أفكارا ما كان لها لتثار لولا أنه استطاع أن يطرحها بقوة وجرأة وتحد ليس له مثيل".

-فيما قال عنه الأديب السعودي "ريان الوابلي" في منتديات "ملامح الأدبية": "لازال يلازمني هذا الحرف في كل مكان أذهب إليه، وفي كل يقظة تنتشلني إلى وشاحك يا رداد، قلمك يهمس للقمر، فتهرب النجوم إلى محاربها، ويبقى القمر وحيدا يحضن إحساسك العطري، مدهش يا رجل"!

-يقول السلامي: الكتاب الحقيقيون هم الكبار بما كتبوا، والبسطاء من زرعوا في حدقات عيون أطفالهم ضوء الرجولة؛ لذلك من الصعب أن أحيا خارج الكلمة، أو بعيدا عنها ومنها، أنا رجل دائما تحييه الحياة بين الكلمات، يكتب للغد، وينتظر ثمار بذوره الفكرية، رغم بساطته تجده ينطوي على أحلام لعالم يشبه كلماته يتكوَّن في مخيلته صديق حميم للقلم والكتاب، حياته فكر وقلم، وحياة المفكرين طويلة حتى بعد موتهم.. الكلمة هي الحياة، والاستقالة عنها استقالة عن الحياة، وحكم بالموت، وانطفاء لدفق الحركة الحيوية، وإعدام للمستقبل.

-قال أحد القراء في فيس بوك: "مع كلماتك يا رداد نكتشف للأشياء من حولنا معاني جديدة". ويقول آخر: "حياتك زاهية ومرصعة بجل عوامل صنع الرجال، يحتاج الواحد منا أن يتذكر ما عاشه من القسوة؛ ليكون سبباً في دفعها عن أبناء بلده.. أنت أحد الذين يزيحون شيئاً من القسوة التي تحاصرنا يا رداد".

E-KUTUB
Publisher of publishers
Amazon & Google Books Partner
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
under Number: 07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office: In der Gass 10,
55758 Niederwörresbach,
Rhineland-Palatinate
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY
Tel: (0044)(0)2081334132